۵۱۹۷۴

۲۵۳

N50-45
4

صا

کتابخانه
محکر قسم نفس
۱۳۲۰!

کتاب الحکمه
غ ۱ ل

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

کتاب ..... الحکمة فی مخلوقات
مؤلف .....
موضوع .....
.....

شماره ثبت کتاب
۵۱۹۷۴

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۳
۲۳۱

كتاب

﴿ الحكمة في مخلوقات الله عز وجل ﴾

تصليف الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد العارف
حجة الاسلام ناصر الشريعة شرف الامة كهف الملة
امام الحقيقة والطريقة زين الدين أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس
الله تعالى روحه ونور ضريحه
وحشرنا في زمرته
آمين

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد امين الخانجي وأخيه بمصر)

سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد اسماعيل »

٣
٢٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله الذي جعل نعمته في رياض جنان المقربين، وخص بهذه الفضيلة من عباده المتفكرين، وجعل التفكر في مصنوعاته وسيلة لرسوخ اليقين، في قلوب عباده المستبصرين، استدلوا عليه سبحانه بصنعته فعلموه، وتحققوا أن لا إله الا هو فوحدوه، وشاهدوا عظمته وجلاله فنزهوه، فهو القيم بالقسط في جميع الاحوال، وهم الشهداء على ذلك بالنظر والاستدلال، فعلموا أنه الحليم القادر العليم، كما قال في كتابه الكريم، شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين وشفيع المذنبين محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وشرف وكرم الى يوم الدين، (أما بعد) يا أخي وفقك الله توفيق العارفين، وجمع لك خير الدنيا والدين، إنه لما كان الطريق الى معرفة الله سبحانه والتعظيم له النظر في مخلوقاته والتفكر في عجائب مصنوعاته، وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته، وكان ذلك هو السبب لرسوخ اليقين، وفيه تفاوت درجات المتقين، وضعت هذا الكتاب منبها لعقول أرباب الالباب بتعريف وجوه من الحكم والنعم التي يشير اليها معظم آي الكتاب، فان الله تعالى خلق العقول وكمل هداها بالوحي وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته، والتفكر

والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته، لقوله سبحانه (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) الى غير ذلك من الآيات البينات والدلالات الواضحات التي بفهمها والترقي في اختلاف معانيها تعظم المعرفة بالله سبحانه التي هي سبب السعادة، والفوز بما وعد به عباده من الحسنى وزيادة، وقد بوبته أبوابا يشتمل كل باب على ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من الخلق وذلك حسب ما تنبهت له عقولنا فيما أشرنا اليه مع أنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى وما وضع من الحكم في مخلوق واحد من مخلوقاته لعجزوا عن ذلك وما أدركته الخلائق من ذلك ما وهب الله سبحانه لكل منهم وما سبق له من ربه سبحانه والله المسؤل أن ينفعنا به برحمته وجوده

﴿ باب التفكر في خلق السماء وفي هذا العالم ﴾

قال الله تعالى (أفلا ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى سبحانه (الله الذي خلق سبع سموات الآية) اعلم رحمك الله انك اذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء من ذلك معد مهيأ لشأنه والانسان كالمالك للبيت المخول لما فيه فضروب النبات لما به وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحه فخلق سبحانه السماء وجعل سبحانه لونها أشد الالوان موافقة للابصار وتقوية لها ولو كانت أشعة أو أنوارا لاضرت الناظر اليها فان النظر الى الخضرة والزرقة موافق للابصار وتجد النفوس عند رؤية السماء في سعتها نعيما وراحة لا سيما اذا انفطرت نجومها وظهر نور قمرها والملوك تجعل في سقوف مجالسها من النقش والزينة ما يجد الناظر اليه

به راحة وانشراحاً لكن اذا داوم الناظر اليه نظره وكرره له وزال عنه ما كان يجده برؤيته من البهجة والانشراح بخلاف النظر الى السماء وزينتها فان الناظر اليها من الملوك فمن دونهم اذا ضجروا من الاسباب المضجرة لهم يلجؤن الى ما يشرحهم من النظر الى السماء وسعة الفضاء.. وقد قالت الحكماء بحذوك عندك من الراحة والنعيم فى دارك بمقدار ما عندك فيها من السماء.. وفيها انها حاملة لنجومها المرصعة ولقمرها وبحركتها تسير الكواكب فيهتدى بها أهل الآفاق وفيها طرق لا تزال توجد آثارها من المغرب والمشرق ولا توجد مجرّة [1] ولا مقبلة صورة نور وقيل انها أنجم صغار متكاثفة مجتمعة يهتدي بها على السير من ضل وتحير في أى جهة كان فيقصدها وقيل انها المشار اليها في قوله تعالى (والسماء ذات الحبك) قيل الحبك الطرق وقيل ذات الزينة فهى دلائل واضحة تدل على فاعلها وصنعة محكمة صمدية تدل على سعة علم باريها وأمور ترتيبها كل يدل على ارادة منشيها فسبحان القادر العالم المريد. وقيل في النظر الى السماء عشر فوائد تنقص الهم وتقلل الوسواس وتزيل وهم الخوف وتذكر بالله وتنشر فى القلب التعظيم لله وتزيل الفكر الردية وتنفع من مرض السوداء وتسلى المشتاق وتؤنس المحبين وهى قبلة دعاء الداعين

﴿ باب في حكمة الشمس ﴾

قال الله سبحانه (وجعل الشمس سراجا) إعلم أن الله سبحانه خلق الشمس لأمور لا يستكمل علمها الا الله وحده فالذى ظهر من حكمته فيها أن جعل حركاتها لاقامة الليل والنهار فى جميع أقاليم الارض ولولا ذلك لبطل أمر الدين أولولاه كيف كان يكون الناس يسعون فى معايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة

(١) هكذا الاصل

النور ومنفعته ولولا ضياء نورها ما انتفع بالأبصار ولم تظهر الألوان.. وتأمل غروبها وغيبتها عمن طلعت عليهم وما فى ذلك من الحكمة ولولاه لم يكن للخلق هدو ولا قرار مع شدة حاجتهم الى الهدو وراحة أبدانهم وخمود حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم طعامهم وتفنيد الغذاء ثم كان الحرص يحملهم على مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم مكانته في أبدانهم فان أكثر الحيوانات لولا دخول الليل ما هدوا ولا قروا من حرصهم على نيل ما ينتفعون به ثم كانت الارض تحمى بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من الحيوانات والنباتات فهى بطلوعها فى وقت وغروبها في وقت في النور بمنزلة سراج لأهل بيت يستضاء به وقتاً ويغيب وقتاً ليهدوا ويقروا وهى في حرها بمنزلة النار يطبخ بها أهل الدار حتى اذا كمل طبيخهم واستغنوا عنها أخذها من جاورهم وهو يحتاج اليها فينتفع بها حتي اذا قضى حاجته سلمها الآخرين فهي أبداً منصرفة فى منافع أهل الارض بتضاد النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظافرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه والى هذه القضية الاشارة بقوله (قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة الآية) ثم بتقدمها وتأخرها تستقيم الفصول فيستقيم أمر النبات والحيوان.. ثم انظر الي مسيرها فى فلكها في مدة سنة وهي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرلها بتقدير خالقها فلولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولما عرفت المواقيت ولو انطبق الظلام على الدوام لكان فيه الهلاك لجميع الخلق فانظر كيف جعل الله الليل سكناً ولباساً والنهار معاشاً وانظر الى ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على الترتيب المخصوص وانظر الى اماله سير الشمس حتي اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء فاذا انخفضت من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت وسط السماء اشتد القيظ واذا

كانت فيما بينهما اعتدل الزمان فيستقيم بذلك أمر النبات والحيوان باقامة هذه الأزمنة الاربعة من السنة.. وأما مافي ذلك من المصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة فى الشجر والنبات فيتولد فيها مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى أفعال الطبيعة وفي الربيع تتحرك الطبائع فى المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات باذن الله وينوّر الشجر وتهيج أكثر الحيوانات للتناسل وفي الصيف يخمر الهواء فينضج الثمار ويحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فتتهيأ لما يصلح لذلك من الاعمال وفى الخريف يصفو الهواء فترتفع الأمراض ويمتد الليل فيعمل فيه بعض الاعمال وتحسن فيه الزراعة وكل ذلك يأتى على تدريج وبقدر حتى لايكون الانتقال دفعة واحدة الى غير ذلك مما يطول لو ذكر فهذا مما يدلك على تدبير الحكيم العليم وسعة علمه.. ثم تفكر في تنقل الشمس فى هذه البروج لاقامة دور السنة وهذا الدور هو الذى يجمع الازمنة الأربعة الشتاء والصيف والربيع والخريف وتسير فيها على التمام وفى القدر من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهى غاياتها ثم تعود فتستأنف وقت السير وبمسيرها تكمل السنة ويقوم حساب السنة على الصحة على التاريخ بتقدير الحكيم العليم * تأمل اشراق الشمس على العالم كيف دبره تبارك وتعالى فانها لو بزغت فى موضع واحد لها لاتعدوه لما وصل شعاعها الا الى جهة واحدة وخلت عنها جميع الجهات فكانت الجبال والجدران تحجبها عنها فجعلها سبحانه تشرق بطلوعها أول النهار من المشرق فيعم شروقها مايقابلها من جهة المغرب ثم لاتزال تدور وتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي الى الغرب على ما استتر عنها أول النهار فلا يبقي موضع حتي يأخذ بقسطه منها.. ثم انظر الى مقدار الليل والنهار كيف وقتهما سبحانه علي مافيه صلاح العالم فصارا بمقدار لو تجاوزاه لأضر بكل ماعلى وجه الارض من

حيوان ونبات اما الحيوان فكان لايهدأ ولا يقر مادام يجد ضوء النهار وكانت البهائم لاتمسك عن الرعى فيؤل أمرها الى تلفها وأما النبات فتدوم عليه حرارة الشمس وتوهجها فيجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقداره أيضاً لكان مميتاً لأصناف الحيوان عن الحركة والتصرف فى طلب المعاش وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات فيعفن ويفسد كالذى يحدث على النبات اذا كان الموضع لاتقع الشمس عليه

﴿باب فى خلقة القمر والكواكب﴾

قال الله سبحانه وتعالى (تبارك الذي جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا) اعلم وفقك الله ان الله سبحانه وتعالى لما جعل الليل لبرد الهواء وهدوّ الحيوان وسكونه فلم يجعله سبحانه ظلمة داجية لاضياء فيها البتة فكان لايمكن أن يعمل عملا فيه وربما احتاج الناس الى بعض أعمالهم فى الليل اما لضرورة أولضيق وقت عليهم من النهار وقد يقع ذلك لشدة حرارة أو لغيره من الاسباب فكان ضوء القمر فى الليل من جملة ماتحتاج اليه فى المعونة على ذلك فجعل طلوعه في بعض الليالى ونقص نوره عن نور الشمس وحرها لئلا ينشط الناس فى العمل نشاطهم لكل مابه يتمتعون من الهدو والقرار فيضر ذلك بهم وجعل فى الكواكب جزءا من النور يستعان به اذا لم يكن ضوء القمر وجعل فى الكواكب زينة السماء وأنساً وانشراحاً لاهل الارض فانظر ما ألطف هذا التدبير جعلت للظلمة دولة ومدة للحاجة اليها وجعل خلالها شئ من النور ليكمل به ما احتيج اليه.. ثم فى القمر علم الشهور والسنين وهو صلاح ونعمة من الله ثم فى النجوم مآرب أخري فان فيها دلائل وعلامات على أوقات كثيرة لعمل من الاعمال كالزراعة والغراسة والاهتداء بها فى السفر فى البر والبحر وأشياء مما تحدث من الانواء والحر والبرد وبها يهتدى السيارون

في ظلمة الليل وتقطع القفار الوحشة واللجج الهائلة كما قال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) مع ما في ترددها في السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من البهجة والنضارة وفى تصريف القمر خاصة في استهلاله ومحاقه وزيادته ونقصانه واستنارته وكسوفه كل ذلك دلالات على قدرة خالقها المصرف لها هذا التصرف لاصلاح العالم.. ثم انظر دوران الفلك بهذه الكواكب فى كل يوم وليلة دورانا سريعاً وسيرها معلوم مشاهد فانا نشاهدها طالعة وغاربة ولولا سرعة سيرها لما قطعت هذه المسافة البعيدة فى أربعة وعشرين ساعة فلولا تدبير البارى سبحانه بارتفاعها حتى خفي عنا شدة مسيرها فى فلكها لكانت تختطف بتوهجها لسرعة حركاتها كالذى يحدث أحياناً من البروق اذا توالت في الجو فانظر لطف البارى سبحانه فى تقدير سيرها فى البعد البعيد لكيلا يحدث من سيرها حادث لا يحتمل فهى مقدرة في جميع الاحوال على قدر الحاجة وانظر فى هذه التي تظهر فى بعض السنة وتحتجب فى بعضها مثل الثريا والجوزاء والشعري فانها لو كانت كلها تظهر في وقت واحد لم يكن لشئ منها دلالة على جهالة تعرفها الناس ويهتدون بها فكان في طلوع بعضها فى وقت دون الآخر ما يدل على ما ينتفع به الناس عند طلوعه مما يصلحهم ولذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدى بها الناس للطرق المجهولة في البر والبحر فانها لا تغيب ولا تتوارى.. ثم انظر لو كانت واقفة لبطلت الدلالات التى تكون من تنقلات المنتقلة منها ومصيرها فى كل واحد من البروج كما يستدل على أشياء تحدث فى العالم بتنقل الشمس والقمر في منازلهما ولو كانت منتقلة كلها لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه لانه انما يعرف مسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الدائمة

كما يعرف سير السائر على الارض بالمنازل التى يجتاز عليها فقد صار هذا الفلك شمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على هذا العالم دورانا دائما في الفصول الاربعة من السنة لصلاح ما فيه من حيوان ونبات وغير ذلك بتقدير العزيز العليم، ومن عظيم الحكمة خلق الافلاك التى بها ثبات هذا العالم على نهاية من الاتقان لطول البقاء وعدم التغير فقد كفي الناس التغير في هذا الامر الجليل الذي ليس قدرة ولا حيلة في اصلاحه لو نزل به تغير يوجب ذلك التغير أمراً فى الارض اذ قوام الارض مرتبط بالسماء فالامر فى جميع ذلك ماض على قدرة البارى سبحانه لا يختل ولا يعتل ولا يتخلف منه شئ عن ميقاته لصلاح العالم فسبحان العليم القدير

﴿باب في حكمة خلق الارض﴾

قال تعالى (والارض فرشناها فنعم الماهدون) ثم انظر كيف جعل الله الارض مهاداً ليستقر عليها الحيوان فانه لا بد له من مستقر ولا غناء له عن قوت فجميع الارض محل للنبات لقوته ومسكن يكنه من الحر والبرد ومدفن يدفن فيه ما تؤذي رائحته والجيف والاقذار من أجسام بنى آدم وغيرها كما قال سبحانه (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) قيل في تفسير هذه الآية هذا القول وغيره ثم ذلل طرقها لتنتقل فيها الخلق لطلب ما ربهم فهي موضوعة لبقاء النسل من جميع أصناف الحيوان والحرث والنبات وجعل فيها الاستقرار والثبات كما نبه على ذلك سبحانه وتعالى بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم) فأمكن الخلائق بهذا التصرف فيها فى مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوهم والانتقال لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة متحركة لم يستطيعوا أن ينقلوا شيئاً من النبات وجميع الصناعات وكانوا لا يتهنون بالعيش والارض ترتج بهم من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس فى الزلازل ترهيبا للخلق وتخويفا لهم

لعلهم يتقون الله وينزعون عن الظلم والعصيان، فهذا أيضاً من الحكمة البالغة ثم ان الارض طبعها الله باردة يابسة بقدر مخصوص أرأيت لو أفرط اليبس عليها حتى تكون بجملتها حجراً صلداً لما كانت تنبت هذا النبات الذى به حياة الحيوانات ولا كان يمكن فيها حرث ولا بناء فجعلها لينة لتتهيأ لهذه الاعمال، ومن الحكمة في خلقها ووضعها أن جعل مهب الشمال أرفع من الجنوب لينحدر الماء على وجه الارض فيسقيها ويرويها ثم يصير الى البحر في آخر الامر فأشبه ذلك ما اذا رفع أحد جانبى السطح وخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولولا ذلك لبقى الماء مستبحراً على وجه الارض فيمتنع الناس من أعمالهم وتنقطع الطرق والمسالك بسبب ذلك. انظر الى ماخلق الله فيها من المعادن ومايخرج منها من أنواع الجواهر المختلفة في منافعها وألوانها مثل الذهب والفضة والياقوت والزمرد والبسنفش وأشياء كثيرة من هذه الاحجار الشفافة المختلفة فى ألوانها وأنواع أخر مما يصلح الاعمال والجمال كالحديد والنحاس والقزدير والرصاص والكبريت والزرنيخ والتوتيا والرخام والجبس والنفط وأنواع لو عددت لطال ذكرها وهو مما ينتفع به الناس وينصرف فيما يصلحهم فهذه نبم يسرها سبحانه لهم لعمارة هذه الدار، ثم انظر الى ارادة ايجادته من عمارتها وانتفاع العباد بها لجعلها هشة سهلة بخلاف. الو كانت على نحو خلق الجبال فلو يبست كذلك لتعذرت فان الحرث لا يستقيم الا مع رخاوة الارض لزراعة الاقوات والثمر والا لا يتعدى اذا صلبت الماء الى الحب مع أن الحب لا يمكن دفنه الا بعد أن تلين الارض بالنداوة ويأخذ الورق وهي ضعيفة فى ابتدائها فى الارض التربة ويمكن اذ ذاك عملها وتحريكها حتي تشرب ماينزل عليها من الماء فيخلق الله سبحانه عند ذلك العروق ملتبسة بالثرى حتى يقف الشجر والنبات على ساقه وجعل مايخلق من العروق يوازن مايخلق من الفروع، ومن رحمته في لينها أن ييسر للناس حفر الآبار فى المواضع

المحتاجة الى ذلك اذ لو حفرت في الجبال لصعب الامر وشق، ومن الحكمة فى لينها تيسير السير للسعاة فيها اذ لو صلبت لعسر السير ولم تظهر الطرق وقد نبه الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها) وقال تعالى (وجعل فيها سبلا فجاجا لعلهم يهتدون) ومن ذلك مايستعين به العباد من ترابها ولينها في البناء وعمل اللبن وأواني الفخار وغير ذلك والمواضع التى ينبت فيها الملح والشب والبورق والكبريت أكثرها تربة رخوة وأيضا أجناس من النبات لا توجد الا فى التراب والرمل دون الارض المجبلة ويخلق فيها كثير من الحيوان لسهولة حفرها فيتخذون فيها مسارب وبيوتا يأوون اليها ومن الحكمة فيها خلق المعادن كما ذكر فقد امتن سبحانه على سليمان عليه السلام بذلك فقال (وأسلنا له عين القطر) أى سهلنا له الانتفاع بالنحاس وأطلعناه على معدنه وقال امتنانا على عباده (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) والنزول بمعنى الخلق كما قال سبحانه (وأنزل لكم من الانعام) أي خلق وألهمهم استخراج ما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك لمنافعهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم وفي اتخاذ أوانيهم وفى ضبط ما يحتاجون الى ضبطه وتقويته واتخاذ أنواع من الحجارة النفيسة لتبقي فيها كالزجاج ويتخذون منها أوانى لحفظ مايجعل فيها من الاموال النفيسة لتبقي فيها سليمة لوقت الاحتياج اليها اذ لا غنى لهم عنها وكذلك يستخرج من المعادن الاكحال مثل (الذهبخ والمفعما) والسادن والتوتيا وغير ذلك من أصناف ينتفعون بها فسبحان المنعم الكريم، ومن الحكمة البالغة فيها خلق الجبال قال الله تعالى (والجبال أرساها) وقال تعالى (وجعل فيها رواسى أن تميد بكم) وقال سبحانه (وأنزلنا من السماء ماء فأسكناه فى الارض) فقد خلق سبحانه فيها الجبال لمنافع متعددة لا يحيط بجميعها الا الله، فمن ذلك أن الله تعالى أنزل من السماء المياه ليحيي بها العباد والبلاد فلو كانت الارض عارية

عن الجبال لحكم عليها لهواء وحر الشمس مع رخاوة الارض فكانوا لا يجدون المياه الا بعد حفر وتعب ومشقة فجعل سبحانه الجبال لتستقر فى بطونها المياه وتخرج أولا فأولا فتكون منها عيون وأنهار وبحار يرتوى بها العباد فى أيام القيظ الى أوان نزول غيث السماء ومن الجبال ما ليس فى باطنها محل للمياه فجعل الثلج محفوظا على ظاهرها الى أن يحله حر الشمس فيكون منه أنهار وسواق ينتفع بها الى أوان نزول الغيث أيضاً ، ومنها ما يكون فيه برك يستقر فيها الماء فيؤخذ منها وينتفع به كما ينتفع به من الاحباب ومن مناقع الجبال ما ينبت فيها من أنواع الاشجار والعقاقير التى لا توجد الا فيها وما ينبت فيها من أنواع الاخشاب العظيمة فيعمل منها السفن وتعمر منها المساكن وفيها الشعارى التى لا يوجد ما يعظم من الاخشاب الا فيها وكذلك العقاقير أكثرها لا يوجد الا بها وفيها وهاد تنبت مزارع للانعام ومزارع لبنى آدم ومساكن للوحوش ومواضع لاجناح النحل ، ومن منافع الجبال ما يتخذه العباد من مساكن تقيهم الحر والبرد ويتخذون مدافن لحفظ جثث الموتى وقد ذكر الله ذلك فقال (وتتخذون من الجبال بيوتاً آمنين) ومن فوائدها أن جعلت اعلاما يستدل بها المسافرون على الطرقات في نواحي الارض ويستدل بها المسافرون في البحار على المين والسواحل ، ومن فوائدها أن الفئة القليلة الضعيفة الخائفة من عدوان من لا تطيقه تتخذ عليها ما يحصنها ويؤمنها ويمنعها ممن تخافه فتطمئن لذلك وانظر كيف خلق الله فيها الذهب والفضة وقدرها بتقدير مخصوص ولم يجعل ذلك ميسراً في الوجود والقدر مع سعة قدرته وشمول نعمته كما جعل هذه السعة فى المياه وما ذلك الا لما سبق في علمه لخلائقه مما هو الاصلح كما أشار الى ذلك بقوله (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فسبحان العليم الحكيم

﴿ باب في حكمة البحر ﴾

قال الله تبارك وتعالى (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) الآية اعلم رحمك الله أن الله سبحانه وتعالى خلق البحار وأوسع فيها لعظم نفعها فجعلها مكتنفة لاقطار الارض التى هي قطعة من الارض المستورة بالبحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البرارى والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كربوة صغيرة في بحر عظيم ، فاعلم أن ما يخلق في الارض من الحيوان بالاضافة الى ما خلق فى البحر كاضافة الارض الى البحر وقد شاهدت فيها عجائب ما هو مكشوف منها فتأمل عجائب البحر فان فيه من الحيوان والجواهر والطيب أضعاف ما نشاهده على وجه الارض كما أن سعته أضعاف سعة الارض ولعظم سعته كان فيه من الحيوانات والدواب العظيمة ما اذا أبدت ظهورها على وجه البحر ظن من يراها أنها حشاف أو جبال أو جزائر وما من صنف من أصناف حيوان البر من انسان وطائر وفرس وبقر غير ذلك الا وفي البحر أمثالها أو أضعافها وفيه أجناس من الحيوانات لم تعهد أمثالها في البر وكل منها قد دبره البارى سبحانه وخلق فيه ما يحتاجه ويصلحه ولو استقصى ذكر ما يحتويه بعضه لاحتاج الى وضع مجلدات ، ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ مدوراً فى صدف تحت الماء وأنبت المرجان في جنح صخور في البحر فقال سبحانه (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وذلك فى معرض الامتنان وقيل المرجان المذكور في القرآن هو الرقيق من اللؤلؤ ثم قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وآلاؤه تفضله ونعمه ثم انظر ما يقذفه من العنبر وغيره من المنفوع ثم انظر الى عجائب السفن وكيف مسكها على وجه الماء تسير فيها العباد لطلب الاموال وتحصيل مالهم من الاغراض جعلها من آياته ونعمته فقال (والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس) فجعلها بتسخيره تحملهم وتحمل أثقالهم وينتقلون بها من أقاليم الى أقاليم

لا يمكن وصولهم اليها الا بالسفن ولو راموا التوصل بغيرها الأدى الي أعظم المشقات وعجزوا عن نقل ماينقل من المنقولات الى مابعد من البلاد والجهات فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يلطف بعباده ويهون ذلك عليهم خلق الاخشاب متخلخلة الاجزاء بالهواء ليحملها الماء ويبقى فيها من الفضاء عن نفسها ماتحمل به الاثقال وألهم العباد اتخاذها سفنا ثم أرسل الرياح بمقادير فى أوقات تسوق السفن وتسيرها من موضع الى موضع آخر ثم ألهم أربابها معرفة أوقات هبوبها وفترتها حتى يسيروا بالرياح التى تحمل شراعها ونظر الى مايسره سبحانه في خلقه الماء اذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل الاجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطع حتي كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال حتى يمكن سير السفن فيه فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله في هذا كله وفى بعضه متسع للفكر وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته قائلة أما ترى تصويرى وتركيبي وصفائى زمناً واختلاف حالى وكثرة فوائدي أيظن ذوالب سليم وعقل رصين انى تكونت بنفسى أو ابدعنى أحد من جنسى بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار

﴿ باب في حكمة خلق الماء ﴾

قال الله تبارك وتعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون) وقال عز شأنه (فانشأنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل قوم يعدلون) انظر وفقك الله الى مامن به سبحانه وتعالى على عباده بوجود الماء العذب الذى به حياة كل من على وجه الارض من حيوان ونبات فلو اضطر الانسان الي شربة منه ومنع منها لهان عليه أن يبذل فيها مايمكنه من خزائن الدنيا. والعجب من غفلة العباد عن هذه النعمة العظيمة وانظر مع

شدة الحاجة اليها كيف وسع سبحانه على العباد فيها ولو جعلها بقدر لضاق الامر فيها وعظم الحرج على كل من سكن الدنيا، ثم انظر لطافة الماء ورقته حتى ينزل من الارض ويتخلل أجزاءها فتتغذى عروق الشجر ويصعد بلطافته بواسطة حرارة الشمس الى اعالى الشجر والنبات وهو من طبعه الهبوط ولما كانت الضرورة تدعو الى شربه لاماعة الاغذية في أجواف الحيوان ليتصرف الغذاء الى موضعه جعل لشاربه فى شربه لذة عند حاجته اليه وقبولا له ويجد شاربه فيه نعيما وراحة وجعل مزيلا للأدران عن الابدان والاوساخ عن الثياب وغيره وبالماء يبل التراب فيصلح للبناء والاعمال وبه يرطب كل يابس مما لايمكن استعماله يابسا وبه ترقق الاشربة فيسوغ شربها وبه تطفأ عادية النار اذا وقعت فيها فلا تلتهب فيه وأشرف الناس منها عليها يكرهون وبه تزول الغصة اذا أشرف صاحبها على الموت وبه يغتسل النعب الكال فيجد الراحة لوقته وبه تستقيم المطبوخات وجميع الاشياء التي لاتستعمل ولاتصلح الارطبة الى غير ذلك من مآرب العباد التى لاغنى لهم عنها فانظر فى عموم هذه النعمة وسهولة تناولها عن قدرها مع شدة الحاجة اليها فلو ضاقت لتكدرت الحياة فى الدنيا فعلم بهذا ان الله تبارك وتعالى اراد بانزاله وتيسيره عمارة الدنيا بمافيها من حيوان ونبات ومعدن الى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها الوصف لمن يروم حصرها فسبحان المتفضل العظيم

﴿ باب الحكمة فى خلق الهواء ﴾

قال الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) اعلم رحمك الله ان الهواء فى خلقه تتخلخله الرياح ولولا ذلك لهلك جميع حيوان البر باستنشاقه تعتدل الحرارة في أجسام جميع الحيوانات لانه لهم مثل الماء لحيوان البحر فلو انقطع عن الحيوان استنشاقه انصرفت

الحرارة التي فيها الى قلبها فكان هلاكها بسبب ذلك ثم انظر الي الحكمة في سوق السحاب به فيقطع المطر بانتقال السحاب الى موضع يحتاج الي المطر فيها للزراعة فلولا لطف البارى يخلق الرياح لثقلت السحائب وبقيت راكدة فى اماكنها وامتنع انتفاع الارض بها ثم انظر عنها كيف تسير السفن بها وتنتقل بحدوثها وهبوبها فتحمل فيها من أقاليم الى أقاليم مما لا يخلق تلك الاشياء فيها فينتفع أهلها بها فلولا تنقلها بالهواء لم تكن تلك الاشياء الا بمواضعها التى خلقت فيها خاصة ولعسر نقلها بالدواب الى غيرها من الاقاليم وللعباد ضرورات تدعو الى ما ينقل اليهم مما ليس يخلق عندهم ومنافع يكثر تعدادها من طلب أرباح لمن يحملها ويعلم فوائدها ثم انظر الى ما فى الهواء من اللطافة والحركة يتخلل اجزاء العالم فينقى بحركته عفن الارض فلولاه لعفنت المساكن وهلك الحيوان بالوباء والعلل ثم انظر الى ما يحصل منه من النفع في نقل السوافى والرمال الى البساتين وتقوية أشجارها بما ينتقل اليها من التراب بسبب حركة الهواء وتستر وجوه جبال بالسوافى فيمكن الزراعة فيه وما فصل الى السواحل مما ينتفع الناس بسببه وكل ذلك بحركة البحر بالهواء فيقذف البحر العنبر وغيره مما ينتفع به العباد فى أمورهم ثم انظر كيف يتفرق المطر بسبب حركة الهواء فيقع على الارض قطرات فلو لا حركة الهواء لكان الماء عند نزوله ينزل انصبابة واحدة فيهلك ما تقع عليه ثم يجتمع بلل القطرات فيجتمع أنهاراً وبحاراً على وجه الارض من غير تضرر ويحصل بذلك مقصودهم على أحسن وجه فانظر الى أثر رحمة الله فسبحان اللطيف بخلقه المدبر لملكه ثم انظر عموم هذه الرحمة وعظيم نفعها وشمول هذه النعمة وجليل قدرها كما نبه العقول عليها بقوله تعالى (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

ثم من تمام النعمة وعظيم الحكمة ان جعل سبحانه الصحو يتخلل نزول الغيث فصارا يتعاقبان لما فيه صلاح هذا العالم فلو دام واحد منهما عليه لكان فساداً . ألا ترى ان الامطار اذا توالت وكثرت عفنت البقول والخضروات وهدمت المساكن والبيوت وقطعت السبل ومنعت من الاسفار وكثير من الحرف والصناعات ولو دام الصحو لجفت الابدان والنبات وعفن الماء الذى في العيون والاودية فأضر ذلك بالعباد وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً آخر من الامراض وغلت بسببه الاسعار من الاقوات وبطل المرعى وتعذر على النحل ما يجده من الرطوبة التى يرعاها على الازهار واذا تعاقبا على العالم اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر فصلحت الاشياء واستقامت وهذا هو الغالب من مشيئة الله * فان قيل قد يقع من أحدهما ضرر في بعض الاوقات . قلنا قد يكون ذلك لتنبيه الانسان بتضاد الاشياء على نعمة الله تعالى وفضله ورحمته أنه هو الغالب فيحصل لهم بذلك انزجار عن الظلم والعصيان ألا ترى ان من سقم جسمه احتاج الى ما يلائمه من الادوية البشعة الكريهة ليصلح جسمه ويصح ما فسد منه قال الله (ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير)

﴿ باب في حكمة خلق النار ﴾

قال الله تعالى (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) اعلم وفقنا الله واياك أن الله خلق النار وهي من أعظم النعم على عباده ولما علم الله سبحانه وتعالى ان كثرتها وبثها في العالم مفسدة جعلها الله بحكمته محصورة حتي اذا احتيج اليها وجدت واستعملت في كل أمر يحتاج اليها فيه فهى مخزونة فى الاجسام ومنافعها كثيرة لا تحصى فمنها ما تصلحه من الطبائخ والاشربة التى لولاها لم يحصل فيها نضج ولا تركيب ولا اختلاط ولا صحة هضم لمن

يستعملها في أكل وشرب فانظر لطف البارى سبحانه في هذا الامر المهم ثم انظر فيما يحتاج الناس اليه من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقزدير وغير ذلك فلولاها لم يمكن شئ من الانتفاع من هذه الاشياء فبها يذاب النحاس فتعمل منه الاواني وغيرها وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك بانها نعمة توجب الشكر فقال تعالى (اعملوا آل داود شكراً) وبها يلين الحديد فيعملون به أنواعا من المنافع والآلات للحروب مثل الدروع والسيوف الى غير ذلك مما يطول تعداده وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك فقال (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وقال تعالى (ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) ومنه يعمل آلات للحرث والحصاد وآلات تأثر بها النار وآلات يطرق بها وآلات لقطع الجبال الصمة وآلات لنجارة الاخشاب مما يكثر تعدادها فلولا لطف الله سبحانه بخلق النار لم يحصل من ذلك شئ من المنافع ولولاها لما كان يتهيأ للخلق من الذهب والفضة نقود ولا زينة ولا منفعة وكانت هذه الجواهر معدودة من جملة الاتربة ثم انظر الى ما جعل الله تعالى في النار من الفرح والترح عند ما تغشى الناس ظلمة الليل كيف يستضيئون بها ويهتدون بنورها في جميع أحوالهم من أكل وشرب وتمهيد مراقد ورؤية مايؤذيهم ومؤانسة مرضاهم وقصدها والعمل عليها براً وبحراً فيجدون بوجودها انسا حتى كأن الشمس لم تغب عن أفقهم ويدفعون بها ضرر الثلوج والرياح الباردة ويستعينون بها فى الحروب ومقاومة حصون لا تملك الا بها فانظر ما أعظم قدر هذه النعمة التي جعل سبحانه حكمها بأيديهم ان شاؤا خزنوها وان شاؤا أبرزوها

﴿باب في حكمة خلق الانسان﴾

قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الى آخر ما وصفه

سبحانه . اعلم وفقك الله تعالى أن الله عز وجل لما سبق في علمه خلق الخلق وبثهم فى هذه الدار وتكليفهم فيها للبلوى والاختبار خلقهم سبحانه متناسلين بعضهم من بعض فخلق سبحانه الذكر والانثى وألقى فى قلوبهم المحبة والدواعى حتى عجزوا عن الصبر وعدموا الحيلة فى اجتناب الشهوة فساقتهم الشهوة المفطورة في خلقهم الى الاجتماع وجعل الفكرة تحرك عضواً مخصوصا به الى ايداع الماء فى القرار المكين الذى يخلق فيه الجنين فاجتمعت فيه النطفة من سائر البدن وخرجت ماء دافقا مندفعا من بين الصلب والترائب بحركة مخصوصة فانتقلت بسبب الافلاج من باطن الى باطن فكانت مع انتقالها باقية على أصلها لانها ماء مهين أدنى شئ يباشرها يفسدها ويغير مزاجها فهي ماء مختلط جميعه مستوية أجزاؤه لا تفاوت فيها بحال فخلق سبحانه منه الذكر والانثى بعد نقلها من النطفة الى العلقة الى المضغة الى العظام ثم كساها اللحم وشدها بالاعصاب والاوتار ونسجها بالعروق وخلق الاعضاء وركبها فدور سبحانه الرأس وشق فيه السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ فجعل العين للبصر ومن العجائب سر كونها مبصرة للاشياء وهو أمر يعجز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات لكل طبقة صفة وهيئة مخصوصة بها فلو فقدت طبقة منها أو زالت لتعطلت عن الابصار . وانظر الى هيئة الاشفار التى تحيط بها وما خلق فيها من سرعة الحركة لتقي العين مما يصل اليها مما يؤذيها من غبار وغيره فكانت الاشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها ولما كان المقصود من الاشفار جمال العين والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة تضر بالعين ولا ينقص نقصا يضر بها وخلق فى مائها ملوحة لتقطيع ما يقطع فيها وجعل طرفيهما منخفضين عن وسطهما قليلا لينصرف مايقع في العين لاحد الجانبين وجعل الحاجبين جمالا للوجه وستراً للعينين وشعرهما يشبه الاهداب

في عدم الزيادة المشوهة وجعل شعر الرأس واللحية قابلا للزيادة والنقص فيفعل فيهما ما يقصد به الجمال من غير تشويه .. ثم انظر الى الفم واللسان وما فى ذلك من الحكم فجعل الشفتين ستراً للفم كأنهما باب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه وهو ستر على اللثة والاسنان مفيد للجمال فلولاهما لتشوهت الخلقة وهما معينان على الكلام واللسان للنطق والتعبير عما في ضمير الانسان وتقليب الطعام وإلقائه تحت الاضراس حتي يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه ثم جعل الاسنان أعدادا متفرقة ولم تكن عظما واحداً فان أصاب بعضها ثلم انتفع بالباقى وجمع فيها بين النفع والجمال وجعل ما كان منها معكوسا زائد الشعب حتى تطول مدته مع الصف الذى تحته وجعلها صلبة ليست كعظام البدن لدعاء الحاجة اليها على الدوام وفي الاضراس كبر وتسريف لأجل الحاجة الى درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الاول وجعلت الثنايا والانياب لتقطيع الطعام وجمالا للفم فأحكم أصولها وحدد دروسها وبيض لونها مع حمرة ما حولها وجعلها متساوية الرأس متناسبة التركيب كأنها الدر المنظوم . ثم انظر كيف خلق في الفم نداوة محبوسة لا تظهر الا في وقت الحاجة اليها فلو ظهرت وسالت قبل ذلك لكان تشويها للانسان فجعلت ليبل بها ما يمضغ من الطعام حتي يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم فاذا فقد الاكل عدمت تلك النداوة الزائدة التى خلقت للترطيب وبقي منها ما يبل اللهوات والحلق لتصوير الكلام ولئلا يجف فان جفافه مهلك للانسان . ثم انظر الى رحمة الله ولطفه اذ جعل للآكل لذة الاكل فجعل الذوق فى اللسان وغيره من أجزاء الفم ليعرف بالذوق ما يوافقه ويلائمه من المأذوف فيجد في ذلك راحة في الطعام والشراب اذا دعت حاجة الى تناوله وليجتنب الشئ الذى لا يوافقه ويعرف بذلك حد ما تصل الاشياء اليه في الحرارة والبرودة ثم ان الله تعالى شق السمع وأودعه رطوبة مرة

يحفظ بها السمع من ضرر الدود ويقتل أكثر الهوام الذين يلجون السمع وحفظ الاذن بصدفة لتجمع الصوت فترده الى صماخها وجعل فيها زيادة حس لتحس بما يصل اليها مما يؤذيها من هوام وغيره وجعل فيها تعويجات ليتطرد فيها الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتأثر ويتنبه صاحبها من النوم ثم انظر الى ادراكه المشمومات بواسطة ولوج الهواء وذلك سر لا يعلم حقيقته الا البارى سبحانه الى غير ذلك . ثم انظر كيف رفع الانف في وسط الوجه فأحسن شكله وفتح منخريه وجعل فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاقه على روائح مطاعمه ومشاربه ليتنعم بالروائح العطرة ويجتنب الخبائث القذرة وليستنشق أيضاً روح الحياة غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الاصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في مجارى مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق وجعل الحنجرة مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الاصوات فلم يتشابه صوتان كما خلق بين كل صورتين اختلافا فلم تشتبه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان حتي يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت وكذلك يظهر بين كل شخصين فرقان وذلك لسر التعارف فان الله تعالى لما خلق آدم وحواء خالف بين صورتيهما فخلق منهما خلقا جعله مخالفا لخلق أبيه وأمه ثم توالى الخلق كذلك لسر التعارف . ثم انظر لخلق اليدين وهداهما الى جلب المقاصد ودفع المضار وكيف عرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم الاصابع بأنامل وجعل الاربعة في جانب والابهام فى جانب فيدور الابهام على الجميع فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستطيعوا بدقيق الفكر وجها آخر من وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة فى الطول

وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا على ذلك وبهذا الوضع صلح بها القبض والاعطاء فان بسطها كانت طبقاً يضع عليه ما يريد وان جمعها كانت آلة يضرب بها وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة. ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تضعف ويلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تتناولها الانامل لولاها وليحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فانظر أقل الاشياء في جسمه لو عدمها وظهرت به حكة لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن دفع ما يؤلمه وجلب ما ينتفع به فى ذلك ولم يقم له غير الظفر مقامه في حك جسده لانه مخلوق لذلك ولغيره فهو لا صلب كصلابة العظام ولا رخو كرخاوة الجلد يطول ويخلق ويقص ويقصر لمثل ذلك ثم جعله يهتدى به الي الحك فى حالة نومه ويقظته ويقصد المواضع الى جهتها من جسده ولو احتاج الى غيره واستعان به فى حكها لم يعثر الغير على مواضع الحاجة الا بعد طول وتعب. ثم انظر كيف مد منه الفخذين والساقين وبسط القدمين ليتمكن بذلك من السعى وزين القدمين بالاصابع وجعلها زينة وقوة على السعى وزين الاصابع أيضاً بالاظفار وقواها بها ثم انظر كيف خلق هذا كله من نطفة مهينة ثم خلق منها عظام جسده فجعلها أجساماً قوية صلبة لتكون قواماً للبدن وعماداً له وقدرها تبارك وتعالى بمقادير مختلفة وأشكال متناسبة فمنها صغير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ثم أودع في أنابيب هذه العظام المخ الرقيق مصاناً لمصلحتها وتقويتها. ولما كان الانسان محتاجا الى جملة جسمه وبعض أعضائه لتردده في حاجاته لم يجعل الله سبحانه عظامه عظماً واحداً بل عظاما كثيرة وبينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة فقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها

ببعض بأوتار أثبتها بأحد طرفي العظم والصق الطرف الآخر كالرباط ثم خلق فى أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر نقراً غائصة فيها توافق لاشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق فصار الانسان اذا أراد ان يحرك شيئاً من جسده دون غيره لم يمتنع عليه فلولا حكمة خلق المفاصل لتعذر عليه ذلك. ثم انظر كيف جعل خلق الرأس مركباً من خمس وخمسين عظماً مختلفة الاشكال والصور وألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس كما ترى فمنها ستة تختص بالقحف وأربعة وعشرون للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية من الاسنان بعضها عريض يصلح للطحن وبعضها حاد يصلح للقطع ثم جعل الرقبة مركز الرأس فركبها من سبع خرازت مجوفات مستديرات وزيادات ونقصان لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربعة وعشرين خرزة وعظم العجز ثلاثة أخرى مختلفة ووصل به من أسفله عظم العصعص وهو مؤلف من ثلاثة أخرى ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فجملة عدد العظام فى بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التى حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق البارى سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة رقيقة سخيفة والمقصود من ذكر اعدادها تعظيم مدبرها وخالقها وكيف خلقها وخالف بين اشكالها وخصها بهذا القدر المخصوص بحيث لو ازداد فيها واحد كان وبالا واحتاج الانسان الى قامه ولو نقص منها واحد لاحتاج الانسان الى جبره فجعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولى الابصار وآيات بينات على عظمته وجلاله بتقديرها وتصويرها. ثم انظر كيف خلق سبحانه آلات لتحريك العظام وهي العضلات تخلق فى بدن الانسان

خمسمائة وتسعة وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون منها لحركة العين واجفانها بحيث لو نقصت منها واحدة اختل أمر العين وهكذا الكل عضو عضلات بعدد يخصه وقدر يوافقه واما أمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين ومنابتها وسعتها فأعجب من هذا وشرحه يطول ثم عجائب ما فيه من المعانى والصفات التى لاتدرك بالحواس أعظم . ثم انظر الى ماشرف به وخص في خلقه بأنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ويستقبل الامور بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل ولم يخلق مكبوباً على وجهه كعدة من الحيوانات اذ لوكان كذلك لما استطاع هذه الاعمال . ثم انظر من حيث الجملة الى ظاهر هذا الانسان وباطنه فتجده مصنوعا صنعة بحكمة يقضي منها بالعجب وقد جعل سبحانه اعضاءه تامة بالغذاء والغذاء متوال عليها لكنه تبارك وتعالى قدرها بمقادير لا يتعداها بل يقف عندها ولا يزيد عليها فانها لو تزايدت يتوالى الغذاء عليها لعظمت أبدان بني آدم وثقلت عن الحركة وعطلت عن الصناعات اللطيفة ولاتناولت من الغذاء ماينا سبها ومن اللباس كذلك ومن المساكن مثل ذلك وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه فاذا وجدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء فاظنك بصنعته في ملكوت السموات والارض وشمسها وقمرها وكواكبها وما حكمته فى أقدارها واشكالها وعددها واوضاعها واجتماع بعضها وافتراق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظن ان ذرة فى السموات والارض وسائر عالم الله ينفك عن حكمة بل ذلك مشتمل على عجائب وحكم لايحيط بجميعها الا الله سبحانه وتعالى المتسمع قوله سبحانه وتعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) الى آخر ما نبه به وتأمل لو

اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة سمعاً وبصراً وحياة لم يقدروا على ذلك فانظر كيف خلقها سبحانه فى الارحام وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الي أجزاء مختلفة فاحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها ورتب عروقها واعصابها ودبر ظاهرها وباطنها وجعل فيها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها مدة حياتها ثم كيف رتب الاعضاء الباطنة من القلب والكبد والمعدة والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل عضو بشكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص فجعل المعدة لنضج الغذاء عصبا معيناً شديداً لحاجتها وبذلك يمكن تقطيعه وطحنه وجعل طحن الاضراس أولا معيناً للمعدة على جودة طحنه وهضمه وجعل الكبد لاحالة الغذاء الى الدم فيجذب منه الى كل عضو من الغذاء ماينا سبه فغذاء العظم خلاف غذاء اللحم وغذاء العروق خلاف غذاء الاعصاب وغذاء الشعر خلاف غذاء غيره وجعل الطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال لجذب السوداء والمرارة لجذب الصفراء والكلية المائية عنه والمثانة لقبول الماء عن الكلية ثم يخرجه في مجرى الاحليل والعروق والكبد فى اتصال الدم منه الى سائر أطراف البدن وجعل جوهرها اتقن من جوهر اللحم ليصونه ويحصره فهي بمنزلة الظروف والاوعية ثم انظر كيف دبره في الرحم ولطف به ألطافا يطول شرحها ولا يستكمل العلم بجملتها الا خالقها ويعجز الواصف عن وصف ماوصل اليه نظره من ذلك . فمن ذلك جعله فيهما لايحتاج الى استدعاء ولا يحتاج المولود الى مايبين ذلك لا بوعظ ولا تنبيه بل ذلك في الطباع الى وقت حاجة المولود الى الاغاثة في غذائه ولولا ذلك لنفرت الامهات عنه من شدة التعب وكلفة التربية حتى اشتد جسمه وقويت أعضاؤه الظاهرة والباطنة لهضم الغذاء فحينئذ

أنبت له الاسنان عند الحاجة اليها لا قبل ذلك ولا بعده ثم انظر كيف خلق
الله فيه التمييز والعقل على التدريج الى حين كماله وبلوغه وانظر وفكر في سر كونه
يولد جاهلا غير ذي عقل وفهم فانه لو كان ولد عاقلا فهما لانكر الوجود عند
خروجه اليه حتى يبقى حيران تائه العقل اذ رأى مالا يعرف وورد عليه مالم
يره ولم يعهد مثله ثم كان يجد غضاضه أن يرى نفسه محمولا وموضوعا معصباً
بالخرق ومسجي في المهد مع كونه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته
حين يولد ثم كان لا يوجد له من الرقة والحلاوة والمحبة في القلوب ما يوجد
للصغير لكثرة اعتراضه بعقله واختياره لنفسه فتبين ان ازدياد العقل والفهم فيه
على التدريج أصلح به . افلا يري كيف أقام كل شئ من الخلقة على غاية الحكمة
وطريق الصواب واعلمه تقلب الخطأ في دقيقه وجليله ثم انظر فيما اذا اشتد خلق
فيه طريقاً وسبباً للتناسل وخلق في وجهه شعر اليميزه عن شبه الصبيان والنسوان
ويجمله ويستر به غضون وجهه عند شيخوخته وان كانت أنثى أبقى وجهها
نقيا من الشعر لتبقى لها بهجة ونضارة تحرك الرجال لما في ذلك من بقاء النسل .
فكر الآن فيما ذكرناه ودبره سبحانه في هذه الاحوال المختلفة هل ترى
مثل هذا يمكن ان يكون مهملا أرأيت لو لم يجر له الدم غذاء وهو في الرحم
ألم يكن يذوى ويهلك ويجف كما يجف النبات اذا انقطع عنه الماء ولو لم يزعجه
المخاض عند استكماله ألم يكن يهلك ببقائه في الرحم هو وأمه ولو لم يوافه اللبن
عند ولادته ألم يكن يموت جوعا وعطشا أو يغذى بما لا يوافق ولا يصلح عليه
بدنه ولو لم يخلق له الاسنان في وقتها ألم يكن يمتنع عليه مضغ الطعام وازدراده
ويقيم على الرضاع ولا يشتد جسمه ولو لم يخرج له شعر الوجه لبقي في هيئة
النساء والصبيان فلا ترى له هيبة ولا جلالة ولا وقاراً ومن ذا الذي يرصده
حتي يوفيه بكل هذه المآرب في وقتها الا الذي أنشأه بعد ان لم يكن شيئاً

مذكورا وتفضل عليه ومن عليه بكل هذه النعم . فكر في شهوة الجماع الداعية
لاحيائه والآلة الموصلة الى الرحم النطفة والحركة الموجبة لاستخراج
النطفة وما في ذلك من التدبير المحكم ثم فكر في جملة اعضاء البدن وتهيئة كل
عضو منها للارب الذي أريد منها فالعينان للاهتداء بالنظر واليدان للعلاج والجذب
والدفع والرجلان للسعي والمعدة لهضم الطعام والكبد للتخليص والتمييز والفم
للكلام ودخول الغذاء والمنافذ لدفع الفضلات واذا تأملت كذلك مع سائر
ما في الانسان وجدته قد وضع على غاية الحكمة والصواب . فكر في وصول
الغذاء الى المعدة حتي ينضجه ويبعث صفوه الى الكبد في عروق دقاق قد
جعلت كالمصفاة للغذاء ولكيلا يصل الى الكبد منه شئ غليظ خشن فينكؤها
فانها خلقت دقيقة لا تحمل الغث فتقلبه باذن الله دما وتنفذه الى سائر البدن في
مجار مهيأة لذلك فيصل الى كل شئ من ذلك ما يناسبه من يابس ورخو
وغير ذلك فتبارك الله رب العالمين ثم ينفذ ما يكون من خبث وفضول الى
معابض وأعضاء أعدت لذلك كما ذكرنا قبل هذا فكونها كالاوعية تحمل هذه
الفضلات لكيلا تنتشر في البدن فتسقمه ثم انظر هل تجد في خلق البدن
شيئا لا معنى له هل خلق البصر الا ليدرك الاشياء والالوان فلو كانت الالوان
ولم يكن بصر يدركها هل كان في الالوان منفعة ولو لم يكن خلق الابصار
نور خارج عن نورها ما كان ينتفع بالبصر وهل خلق السمع الا ليدرك
الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن في الاصوات
منفعة وكذلك سائر الحواس . فكر في أشياء جعلت بين الحواس والمحسوسات
لا يتم الحس الا بها منها الضياء والهواء فلو لم يكن ضياء تظهر فيه المبصرات
لم يدركها البصر ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك
الصوت . فكر فيمن عدم البصر والسمع وما يناله من الخلل فانه لا ينظر أين يضع

قدمه ولا يدري مابين يديه ولا يفرق بين الالوان ولا يدرى بهجوم آفة أو عدو ولا سبيل له أن يتعلم أكثر الصناعات وأما من عدم السمع فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات المستحسنة والالحان المطربة وتعظم المؤونة على من يخاطبه حتى ينصرم منه ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس واحاديثهم حتى يصير كالغائب وهو شاهد وكالميت وهو حي وأما من عدم العقل فهو شر من البهائم فانظر كيف صارت هذه الجوارح وهذه الاوصاف التي بها صلاح الانسان محصلة ومبلغة لجميع مآربه ومتممة لجميع مقاصده واذا فقد شيئاً اختل أمره وعظم مصابه ومن بلى بفقد شئ منها فهو تأديب وموعظة وتعريف بقدر نعمة الله في حقه وحق أمثاله ولينال بصبره على ذلك حظاً فى الآخرة فانظر الي رحمة الله كيف توجه في العطاء والمنع . ثم فكر في الاعضاء التى خلقت أفراداً وأزواجا وما فى ذلك من الحكمة والصواب فالرأس مما خلق فردا وان كثيراً من الحواس قد حوتها رأس واحدة ولو زاد عليه شئ كان ثقلا لايحتاج اليه فان كان قسمين فان تكلم احدهما بقي الآخر معطلا لاحاجة اليه وان تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلة لايحتاج اليها وان تكلم من أحدهما بخلاف مايتكلم به من الآخر لم يدر السامع مراده من ذلك وانما الذى يأخذ به السامع هو ما كان واضحاً واليدان خلقتا أزواجا ولم يكن للانسان خير في أن يكون بيد واحدة لاختلال مايعالجه من الامور فانك ترى من شلت احدى يديه مايكون عنده من النقص وان يكلف بشئ لم يحكمه ولا يبلغ مايبلغ صاحب اليدين وحكمة الرجلين ظاهرة . فكر فى تهيئة آلات الصوت فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والاسنان لاصاغة الحروف والفم ألا ترى ان من سقطت اسنانه أو أكثرها كيف يحصل الخلل في كلامه . ثم انظر الى مافى الحنجرة من المنفعة

لسلوك النسيم منها الى الرئة فتروح على الفؤاد بهذا النفس للمتتابع ومافى اللسان من تقليب الطعام واعانته على تسويغ الطعام والشراب ومافى الاسنان من المؤنة أيضاً ثم هى كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمها من داخل الفم وبالشفتين يرتشف الشراب حتي يكون ما يدخله الى الجوف بقصد وبقدر ما يختاره الانسان ثم هما على الفم كالباب فقد تبين ان كل عضو من هذه الاعضاء ينصرف الى وجوه من المآرب وضروب من المصالح إن زاد أفسد وإن نقص افسد فذلك تقدير العزيز العليم . فكر فى الدماغ اذا كشف عنه فانك تجده قد لف بعضه فوق بعض ليصونه من الاعراض وأطبقت عليه الجمجمة والشعر سترلها وجمال وليبعد عنها ما يؤذيها من حر وبرد وغير ذلك فخصن سبحانه وتعالى الدماغ هذا التحصين لعلمه بأنه مهم وأنه مستحق لذلك لكونه ينبوع الحس . ثم انظر كيف غيب الفؤاد فى جوف الصدر وكساه المدرعة التى هى غشاؤه واتقنها وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لشرفه وان ذلك اللائق به . ثم انظر كيف جعل فى الحلق منفذين أحدهما للصوت وهو الحلقوم الواصل الى الرئة والآخر للغذاء وهو المرئ الواصل الى المعدة وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل اليه ثم جعل الرئة مروحة للفؤاد لا تفتر ولا تخل تأخذ وترد بغير كلفة لئلا تنحصر الحرارة فى القلب فتؤدي الى التلف ثم ملأ الجوّ هواء لهذه المصلحة ولغيرها . ثم انظر كيف جعل لمنافذ البول والغائط أسراحا يضبطها لكى لا يجرى جريانا دائماً فيفسد على الانسان عيشته . ثم انظر كيف جعل لحم الفخذين كثيراً كثيفا ليقي الانسان من ألم الجلوس على الارض كما يألم من الجلوس من نحل جسمه وقلّ لحمه اذ لم يكن بينه وبين الارض حائل . انظر لو كان ذكر الرجل مسترخياً أبداً كيف يصل الماء الي موضع الخلق ولو كان منعظاً أبداً كيف يكون حاله في

تصرفاته وهو كذلك بل جعله مستوراً كأنه لم تخلق له شهوة. ثم انظر أليس أنه من حسن التدبير في البناء أن يكون الخلاء في أستر موضع فى الدار فلهذا اتخذ المنفذ المهيأ لقضاء حاجة الانسان فى أستر موضع من جسده مغيب فيه تلتقى عليه فخذاه بما عليهما من اللحم فتواريه به ويخفي ذكره وذلك مخصوص بالانسان لشرفه. ثم انظر في خلق الشعر والاظفار لما كانا يطولان وفى تقصيرهما مصلحة جعلا عديمي الحس حتي لا ينال الانسان ألم عند التزين بقصهما ولولا هذه الحكمة لكان بين أمرين اما أن يدعهما على حالهما فيتشوه خلقه أو يزيل ذلك فيتألم بازالته. ثم تفكر فى الشعور لو نبتت في العين لأعمت البصر أو في الفم لنغصت الاكل والشرب أو فى راحة الكف لفقدت لذة اللمس وبعض الاعمال أو في الفرج لكدرت لذة الجماع مع قبول هذه المواضع لنباتها فيها فسبحان المدبر المنعم بهذه النعم. فانظر كيف قصد بهذا الخلق طريق الصواب وتجنب الخطأ والضرر ثم فيما جبل عليه الانسان من الاحتياج الى المطعم والنوم والجماع وما في ذلك من التدبير المحكم فقد جعل في طبعه محرك يقتضيه ويستحثه فالجوع والعطش يقتضي طلب الطعام الذى به حياته وكذلك الشراب الذى به قوامه والنوم فيه راحة البدن وعموم القوي والشبق يقتضى الجماع الذى به دوام النسل وبقاؤه فلو كان الانسان انما يتناول الطعام والشراب لمعرفته بالحاجة اليه ولم يجد من طباعه ما يلجئه اليه لاشتغل بأسباب ضرورته فتنحل قواه ويهلك كما أنه قد يحتاج الى دواء يكرهه وفيه صلاحه وليس في جبلته داعية له فيدافع فى تناوله فيمرض أو يموت فكذلك لو كان يفعل النوم ويدخله على جسمه باختياره لتشاغل عنه ببعض مهماته فيهلك جسمه بالتعب والنصب وكذلك لو كان إقدامه على الجماع انما هو لرغبة حصول الولد لانقطع النسل لما يعارضه من الاسباب المشغلة فانظر كيف جعل فيه

بالطبع مايضطره الى حصول هذه الفوائد. انظر كيف رتبت هذه القوى بهذا الترتيب المحكم العجيب فصار البدن بما فيه بمنزلة دار لملك فيها حشم وقوم موكلون بالدار فواحد لاعضاء حوائج الحشم وايراد ماء لهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه الى أن يعالج ويهيأ وآخر لاصلاح ذلك وتهيئته واصلاحه أخص مما قبل وآخر لكسح ما فى الدار من الاقذار واخراجه فالملك فى هذا المثل هو الخالق العليم سبحانه والدار هى البدن والحشم هي الاعضاء والقوم في هذه القوى الاربع التى هي النفس وموة بها من الانسان بمعنى الفكر والوهم والعقل والحفظ والغضب وغير ذلك أرأيت لو نقص من الانسان من هذه الصفات الحفظ وحده كيف كان يكون حاله كان لا يحفظ ماله وما عليه وما أصدر وما أورد وما أعطى وما أخذ وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن اليه ولا من أساء له ولا من نفعه ممن ضره وكان لا يهتدى لطريق ولو سلكه ولا لعلم ولو درسه ولا ينتفع بتحريره ولا يستطيع أن يعتبر بمن مضى فانظر الى هذه النعم كيف موقع الواحدة منها فكيف جميعها. وأعجب من نعمة الحفظ نعمة النسيان فلولا النسيان ماسلا الانسان عن مصيبة فكان لا ينقص له حسرة ولا يذهب عنه حقد ولا يستمتع بشيء من لذات الشهوات الدنيوية مع تذكر الآفات والفجائع المغضبات وكان لا يمكن ان يتوقع غفلة من ظالم ولا فترة ولا ذهولا من حاسد أو قاصد مضرة فانظر كيف جعل الله فيه سبحانه الحفظ والنسيان وهما متضادان وجعل للانسان فى كل منهما ضرباً من المصالح. ثم انظر الى ماخصه به دون غيره من الحيوان من الحياء فلولاه لم تقل العثرات ولم تقض الحاجات ولم يقر الضيف ولم يرغب في الجميل فيفعل ولا يتجافى عن القبيح فيترك حتى ان كثيراً من الامور الواجبة انما تفعل لسبب الحياء من الناس فترد الامانات وتراعى حقوق الوالدين وغيرهما

ويعف عن فعل الفواحش الى غير ذلك من أجل الحياء فانظر ما أعظم موقع هذه النعمة فى هذه الصفة . وانظر ما أنعم الله به من النطق الذي يميز به عنه البهائم فيعبر بما في ضميره ويفهم عن غيره ما فى نفسه . وكذلك نعمة الكتابة التى تفيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد في الكتب العلوم والآداب ويعلم الناس ذكر ما يجرى بينهم فى الحساب والمعاملات ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الازمنة عن بعض ودرست العلوم وضاعت الفضائل والآداب وعظم الخلل الداخل على الناس فى أمورهم بسبب عدمها فان قلت ان الكلام والكتابة مكتسبة للانسان وليست بأمر طبيعى ولذلك تختلف الخطوط بين عربى وهندى وروى الى غير ذلك وكذلك الكلام هو شئ يصطلح عليه فلذلك اختلف . قلنا ما به تحصل الكتابة من اليد والاصابع والكف المهيأ للكتابة والذهن والفكر الذى يهتدى به ليس بفعل الانسان ولولا ذلك لم يكن ليكتب أبداً فسبحان المنعم عليه بذلك وكذلك لولا اللسان والنطق الطبيعى فيه والذهن المركب فيه لم يكن ليتكلم أبداً فسبحان المنعم عليه بذلك . ثم انظر الى حكمة الغضب المخلوق فيه يدفع عن نفسه به مايؤذيها وما خلق فيه من الحسد فبه يسعى فى جلب ماينتفع به غير أنه مأمور بالاعتدال في هذين الامرين فان جاوز الحد فيهما التحق برتبة الشياطين بل يجب أن يقتصر فى حالة الغضب على دفع الضرر وفي الحسد على الغبطة وهي ارادة ماينفعه من غير مضرة تلحق غيره . ثم انظر ما أعطي وما منع مما فيه أيضاً صلاحه فمن ذلك الامل فبسببه تعمر الدنيا ويدوم النسل ليرث الضعفاء عن الاقوياء منافع العمارة فان الخلق أول ما يخلق ضعيف فلولا أنه يجد آثار قوم أصلوا وعمروا لم يكن له محل يأوى اليه ولا آلة ينتفع بها فكان الامل سببا لعمل الحاضرين مايقع به انتفاع الآتين وهكذا يتوارث الى يوم

الدين ومنع الانسان من علم أجله ومبلغ عمره لمصلحة فانه لو علم مدة حياته وكانت قصيرة لم تهنه الحياة ولم ينشرح لوجود نسل ولا لعمارة أرض ولا لغير ذلك ولو علمها وكانت طويلة لانهمك في الشهوات وتعدي الحدود واقتحم المهلكات ولعجز الوعاظ عن ايقافه وزجره عما يؤديه الي اتلافه فكان فى جهله بمدة عمره مصلحة حصول الخوف بتوقع هجوم الموت ومبادرة صالح الاعمال قبل الفوت . ثم انظر الى ما ينتفع به مما فيه مصالحه وملاذه من أصناف الاطعمة على اختلاف طعومها وأصناف الفواكه مع اختلاف ألوانها وبهجتها وأصناف المراكب ليركبها ويحصل منافعها وطيور يلتذ بسماعها ونقود وجواهر يقتنيها ويصل بها الى أغراضه ويجدها فى مهماته وعقاقير يستعملها لحفظ صحته وبهائم لمأكله ولغير ذلك من أموره من حرث وحمل وغير ذلك وأزهار وغيرها من العطريات يتنعم بروائحها وينتفع بها وأصناف من الملابس على اختلاف أجناسها وكل ذلك ثمرة ما خلق فيه من العقل والفهم فانظر ماذا ركب الله فيه من العجائب . ومن الحكمة البالغة اختلاف العباد فى تملك ما ينتفع به بنو آدم ليتميز منهم الفقير عن الغني فيكون ذلك سببا لعمارة هذه الدار ويشتغل الناس بسبب ذلك عما يضرهم فى غالب الاحوال فمثالهم فيما اشتغلوا به مثال الصبي فانه يشتغل لنقص عقله فيما يضر به نفسه ولا يتفرغ فيكون فراغه وبالا عليه وكم عسي أن يعد العاد من الحكم واللطائف التى يقصد بها قوام العالم وبقاؤه الى الاجل المعلوم وهى مما لا تدخل تحت حد ولا يحصرها عدّ ولا يعلم منتهي حقائقها واحصاء جملتها الا الحكيم العليم الذى وسعت رحمته وعلمه كل شئ وأحصى كل شئ عدداً

﴿ خاتمه لهذا الباب ﴾

اعلم أن البارى سبحانه وتعالى شرف هذا الآدمي وكرمه فقال سبحانه

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذي تنبه به على البهيمة وألحقه بسببه بعالم الملائكة حتي تأهل به لمعرفة باريه ومبدعه بالنظر في مخلوقاته والاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من حكمة وأمانة قال الله العليم (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فكان نظره فى نفسه وفيما أودع البارى سبحانه فيه من العقل الذى يقطع بوجوده فيه ويعجز عن وصفه من أعظم الدلالات عنده على وجود باريه ومدبره وخالقه ومصوره فانه ينظر فى العقل وكيف فيه التدبير وفنون العلم ومستقر المعرفة وبصائر الحكمة والتمييز بين النفع والضر وهو مع القطع بوجوده لا يرى له شخصاً ولا يسمع له حساً ولا يجس له مجساً ولا يشم له ريحا ولا يدرك له صورة ولا طعما وهو مع ذلك آمر ومطاع وراج ومفكر ومشاهد للغيوب ومتوهم للامور اتسع له ما ضاق عن الابصار ووسع له ماضاقت عنه الاوعية يؤمن بما غيبته حجب الله سبحانه مما بين سمواته وما فوقها وأرضه وما تحتها حتى كأنه شاهده أبين من رأي العين فهو موضع الحكمة ومعدن العلم كلما ازداد علما ازداد سمة وقوة يأمر الجوارح بالتحرك فلا يكادان يميز بين الهمة بالحركة وبين التحرك بسرعة الطاعة أيهما أسبق وان كانت الهمة قبل وهو مع تدبيره وعلمه وحكمته عاجز عن معرفة نفسه اذ لا يمكنه أن يصف نفسه بنفسه بصفة وهيئة أكثر من الاقرار بأنه مسلم الذى وصفه للعلم به ومقر بالجهل بنفسه وهو مع جهله بنفسه عالم حكيم يميز بين لطائف التدبير ويفرق بين دقائق الصنع وتجرى الامور وقد تدبرها ويتوهم العواقب ويمثلها ويدل على الامور على اختلافها فدل جهله بنفسه وعلمه بما يدبر ويميز أنه مركب مصنوع مصور مدبر مقهور لانه مع حكمته واتقاد بصيرته عاجز مهين يريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينساه

فيذكره ويريد أن يسر فيحزن ويريد أن يغفل فيذكر ويريد أن يتنبه ويتيقظ فيسهو ويغفل دلالة على أنه مغلوب مقهور وهو مع ما علم جاهل بحقائق ما علم ومع ما دبر لا يدري كم مدا مبلغ صوته ولا كيف خروجه ولا كيف اتساق حروف كلامه ولا كم مدا مبلغ نظره ولا كيف ركب نوره ولا كيف أدرك الاشخاص ولا كم قدر قوته ولا كيف تركبت ارادته وهمته فاستدل بعلمه وجحده عن حقيقة ما علم أنه مصنوع بصنعة متقنة وحكمة بالغة تدل على الصانع الخالق المريد العليم عز وجل .. ثم انه خلق في الانسان الهوى موافقا لطباعه فان استعمل نور العقل فيما أمر به ورد مورد السلامة وفاز غدا بدار الكرامة وان استعمله فى اغراض نفسه وهواها حجب عن معرفة أمور لا يدركها غيره مع ما هو متوقع له في الدار الآخرة من الثواب والحجاب والعقاب وهو الآلة له في عمل الصنائع وتقديرها على نحو ما قدرها ودبرها فى ذهنه وتخيله واستنباط ما يستنبط بدقيق الفكر ومعرفة مكارم الاخلاق الموجودة في كل أمة وزمان واستحسان ما يحسن في عوائد العقلاء والفضلاء وتقبيح ما يقبح عندهم بحكم الاعتياد . فانظر ماشرف هذا الانسان أن خلق فيه ما يفيده هذه المعارف فان الاوانى تشرف بشرف ما يوضع فيها ولما كانت قلوب العباد هي محل للمعرفة بالله سبحانه شرفت بذلك ولما سبق في علم البارى سبحانه وارادته وحكمه بمصير الخلق الى دار غير هذه الدار ولم يجعل في قوة عقولهم ما يطلعون به على أحكام تلك الدار بل كمل لهم سبحانه هذا النور الذى وهبهم اياه بنور الرسالة اليهم فارسل الانبياء صلوات الله عليهم مبشرين لاهل طاعته ومنذرين لاهل معصيته فمدهم بالوحي وهيأهم لقبوله وتلقيه فكانت أنوار ماجاء به الوحي من عند الله بالنسبة الى نور العقل كالشمس بالاضافة الى نور النجم فدلوا العباد على مصالح دنياهم فيما لا تستقل بادراكه عقولهم وأرشدوهم الى مصالح أخراهم

التى لا سبيل للعباد ان يعرفوها الا بواسطتهم وأظهر لهم سبحانه من الدلائل على صدق ماجاؤا به ماأوجب الاذعان والانقياد لصدق أخبارهم فتمت بذلك نعمة الله على عباده وظهرت كرامته وثبتت حجته عليهم.. فانظر ما أشرف الآدمى ونسله الذين ظهرت منه هؤلاء الفضلاء الذين هم قابلون هذه الزيادات الفاضلة ثم تضافرت أنوار الشرائع التي هي كالشمس وأنوار العقول التى هى كالنجم فتمت سعادة من سبق له من الله الحسنى وشقاوة من كذب ولم يرد الا الحياة الدنيا.. ثم ان الله تبارك وتعالي من على الانسان بان خصه برؤيا يراها فى منامه أو فى عينه كشبه المنام يمثل له فيها بأمثلة معهودة من جنس مايعرفه وهي مبشرة أو منذرة له لما يتوقعه بين يديه كل ذلك مواهب وكرامات من جود الله سبحانه وجعل الله استقامته على الطاعة في قلبه وجوارحه سببا لصدقها في غالب الامر ليتعظ أو يقدم على الامور أو يحجم عنها وهى الامور التى انفرد الله بعلم العاقبة فيها واطلع على بعض الامور منها من شاء

﴿ باب في حكمة خلق الطير ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (ألم تروا الى الطير مسخرات في جو السماء مايمسكهن الا الله) اعلم رحمك الله ان الله تعالى خلق الطير وأحكمه حكمة تقتضى الخفة للطيران ولم يخلق فيه مايثقله وخلق فيه مايحتاج اليه ومافيه قوامه وصرف غذاءه فقسم لكل عضو منه ماياسبه فان كان رخوا أو يابساً أو بين ذلك انصرف الي كل عضو من غذائه ماهو لائق به فخلق للطير الرجلين دون اليدين لضرورة مشيه وتنقله واعانته له فى ارتفاعه عن الارض وقت طيرانه وجعلها واسعة الاسفل ليثبت فى موطن على الارض وهي خف فيه أو بعض أصابع مخلوقة من جلد رقيق صلب من نسبة جلد ساقيه وجعل جلد ساقيه غليظا

متقنا جداً ليستغنى به عن الريش في الحر والبرد وكان من الحكمة خلقه على هذه الصفة لانه فى رعيه وطلب قوته لا يستغنى عن مواضع فيها الطين والماء فلو كسيت ساقاه بريش لتضرر ببلله وتلويثه فاغناه سبحانه عن الريش في موضع لا يليق به حتى يكون مخلصا للطيران وما خلق من الطير ذا ارجل طوال جعلت رقبته طويلة لينال غذاءه من غير حرج بها اذلو طالت رجلاه وقصر عنقه لم يمكنه الرعى لا في البراري ولا فى البحار حتي ينكب على صدره وكثيرا مايعان بطول المنقار أيضا مع طول العنق ليزداد مطلبه عليه سهولة ولو طال عنقه وقصرت رجلاه أثقله عنقه واختل رعيه وخلق صدره وجعل دائره ملفوفاً مرتبا على عظم كهيئة نصف دائرة حتي يخرق في الهواء بغير كلفة وكذلك رؤس أجنحته مدورة اعانة له على الطيران وجعل لكل جنس من الطير منقاراً يناسب رعيه ويصلح لما يغتذى به من تقطيع ولقط وحفر وغير ذلك فمنه مخلب للتقطيع خص به الكواسر وماقوته اللحم ومنها عريض مشرشر جوانبه تنطبق على ما يلتقطه انطباقا محكماً ومنه معتدل اللقط لأكل الخضر ومنه طويل المنقار للحفر وجعله صلبا شديداً شبه العظم وفيه ليونة ماهي في العظم لكثرة الحاجة الى استعماله وهو مقام الاسنان في غير الطير من الحيوان وقوى سبحانه أصل الريش وجعله قصبا منشوبا فيما يناسبه من الجلد الصلب في الاجنحة لاجل كثرة الطيران ولان حركة الطيران قوية فهو محتاج الى الاتقان لاجل الريش وجعل ريشه وقاية مما يضره من حر أو برد ومعونة لتخلله الهواء للطيران وخص الاجنحة بأقوى الريش وأنبته وأتقنه لكثرة دعاء الحاجة اليه وجعل في سائر بدنه ريشاً غيره كسوة ووقاية وجمالا له وثبت أصل جميعه لانه جبيرته وجماله وجعل في ريشه من الحكمة أن البلل لا يفسده والادران لا توسخه فان أصابه ماء كان أيسر انتفاض يطرد عنه بالله فيعود

الى خفته وجعل له منفذاً واحداً للولادة وخروج فضلاته لاجل خفته وخلق ريش ذنبه معونة له على استقامته في طيرانه فلولاه لما مالت به الاجنحة فى حال الطيران يمينا وشمالا فكان له بمنزلة رجل السفينة الذى يعدل بها سيرها وخلق فى طباعه الحذر وقاية لسلامته ولما كان طعامه يبتلعه بلعا بلا مضغ جعل لبعضه منقاراً صلبا يقطع به اللحم ويقوم له مقام ما يقطع بالمدية وصار يزدرد ما يأكله صحيحا وأعين بفضل حرارة في جوفه تطحن الطعام فطحنا يستغنى به عن المضغ وثقل الاسنان واعتبر ذلك بحب العنب وغيره فانه يخرج من بطون الحيوان صحيحا وينسحق في أجواف الطير ثم انه خلقه بيض ولا يلد لئلا يثقل عن الطيران فانه لو خلقت فراخه في جوفه حتى يكمل خلقها لثقل بها وتعوق بها عن النهوض للطيران. أفلا تري كيف دبر كل شيء من خلقه بما يليق به من الحكمة انظر الى من أنزله وألهمه الرقاد على بيضه فيحضنه مدة الحضانة من ألهمه أن يلتقط الحب فاذا ماع فى باطنه غذي به أفراخه وهذا نوع من الطير ثم انظر هذا كيف احتمل هذه المشقة وليست له روية ولا فكر في عاقبة ولا له أمل يأمله في أفراخه كما يأمل الانسان فى ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهل هذا قطعا الا الهام الهى من فعل الله سبحانه . انظر كيف ألهم معرفة حمل الانثى منه بالبيض فألهموا حينئذ حمل الحشيش وتوطئته فى موضع التحضين والولادة لتكون الرطوبة والتوطئة تحفظ البيض ويكون البيض محفوظا فى المهاد الذى يمهدونه ويستحسنونه في حال تحضينه . انظر الى الحمام كيف ألهم معرفة كمال الفرخ وانتهاء تحضينه للبيض حتي يكشف عن الفرخ ويخرجه وان اتفق في البيض فساد بسبب عرق قام وتركه ثم انظر الهامه بما يزق به فرخه فانه أولا يزقه بالريح لتستعد حوصلته لقبول ما يوضع فيها ثم بعد ذلك يزقه من أول هضم ثم اذا ماع الغذاء فى حوصلته يزقه به

حتى يدرجه ويفعل ذلك مرارا حتى يملأ حوصلته فانه لو أوصله اليه جبا صحيحا لعجز عن هضمه لضعف جسده فانظر ان كان هذا من فعل الطير وحكمته. ثم انظر عند خروج الفرخ من البيضة كيف يسنده الي جنبه لئلا يفقد الحرارة دفعة واحدة فيضر ذلك به ومن الطير ما يخلق على هيئة أخرى لحكمة أخرى ولتعلم أن قدرة الله لا تنحصر في نوع واحد بل كل حال له حكم يقوم بمصلحة ذلك الشيء وذلك أن الدجاج ما فيهم أهلية الزق بل جعلت فراخهم يلتقطون غذاءهم عند خروجهم من البيضة. ثم انظر في الحمام الذكر والانثي كيف يتداولان على التسخين خوف أن يفسد بيضهم فيعقب هذا صاحبه كأن لهم علما بان عدم هذا التدبير يفسد به بيضهم. ثم انظر الى خلق البيضة وما فيها من الحكم لله ففيها الملح الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق فبعضه لينشأ منه جسده وبعضه يغتذى به الى أن تنشق عنه وما فى ذلك التدبير من الحكم العجيبة وكيف جعل معه غذاءه في بيضة مغلقة تلتقي به الى حين كماله فيها وخروجه منها ثم انظر فى حوصلة الطائر وما فى خلقها من التدبير فان مسلك طعامه الى القانصة ضيق لا ينفذ اليه الا قليلا قليلا فلو كان لا يلتقط حبة حتى تصل الاولى الى القانصة لطال الامر عليه مع ما فيه من شدة الحذر وتجنبه ما يؤذيه فصار ما يحتكره احتراسا لشدة حذره فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليودع فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثم ينفذه الى القانصة على مهل وفيها حكمة أخرى فان الطير الذى يزق أفراخه يكون رده الطعام من قرب أسهل عليه ثم تأمل ريش الطائر فانك تجده منسوجا نسج الثوب من سلوك رقاق وفيها من اليبس ما يمسك ما حولها ومن اللين ما لا تنكسر معه وهي خاوية قد الف بعضها الي بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعر الى الشعر ثم تجده اذا فتحته أعني النسيج ينفتح قليلا ولا ينشق ليدخله الريح فيثقله عن طيرانه وتجد في

وسط الريشة عموداً غليظاً يابساً مثبتا قد نسج عليه كهيئة الشعر ليمسكه بصلابته فلو عدم ذلك وعرضت الريشة دونه لفسخها مايقابلها من الهواء وهي مع صلابتها مجوفة ليخف عليه طيرانه. أنظر الى الطائر الطويل الساقين والحكمة فى طولهما أنه يرعى أكثر رعيه فى صحصاح كأنه فوقه مرتب يتأمل مايدب فى الماء فاذا رأى شيئاً من حاجته خطا خطوا رفيقا حتى يتناوله فلو كان قصير الساقين لكان حين يخطو الى الصيد يصل بطنه الى الماء فيهزه فيذعر منه الصيد فيبعد عنه . أنظر الى العصافير وغيرها فانها تطلب رزقها طول نهارها فلاهى تفقده ولاهى تجده مجموعا فى محله وهو أمر جار على سنة الله في خلقه فان صلاحهم في السعى في طلب الرزق فان الطير لو وجده ميسرا اكب عليه ولا يقلع عنه حتى يمتلئ فيثقل عن الطيران ولا يستطيع رده أعنى قذفه من بطنه مثل طير الماء الكبير فانه يأكل السمك فاذا امتلا منه وأزعجه مزعج تقيأه حتى يخف للطيران وكذلك الناس أيضاً لو وجدوه بلا سعى لتفرغوا افراغا يوقعهم فى غاية الفساد. أنظر الى هذه الاصناف من الطير التى لاتخرج الا ليلا مثل البوم والهام والخفاش فأن عيشها يتيسر في الجو كالبعوض والفراش وشبهه فانها منبثة فى هذا الجو فجعل عيشه فى موضع أقرب اليه من الارض ولعل نوره لايعينه أن يلتقط من الارض بدليل أنه لايظهر في نور الشمس الا مختفياً فالهم ان يعيش في الجو من الفراش وغيره أنظر الى الخفاش لما خلق بغير ريش كيف خلق له مايقوم مقامه وجعل له فم وأسنان وكل مافى البهائم الارضية من الولادة وغيرها وأقدره على الطيران فاظهر سبحانه فيه ان قدرته على الطيران لاتقتصر على ماخلق له الريش ولا تنحصر فى نوع واحد لانه خلق هذا النوع وخلق من السمك جنسا يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل الماء فسبحان القادر العليم أنظر الى الذكر والانثى

من الحمام كيف يتعاونان على الحضانة فاذا احتاج أحدهما الى قوته ناب الآخر الى آخر وقت الحضانة ثم ألهمهما الحرص على الحضانة فلا يطيلان الغيبة على البيض اذا خرجا لنيل القوت حتى أنهما يجتمع في أجوافهما البراز للحرص على الرقاد فاذا اضطره خروج البراز أخرجه دفعة واحدة ثم أنظر الى حرص الذكر حين تحمل الانثي بالبيض ويقرب أوان وضعها كيف يطردها وينقرها ولا يدعها تستقر خارجا عن الوكر خشية ان تضع البيض فى غير الموضع المهيأ لوضعه. أنظر كيف يزق أفراخه ويعطف عليها مادامت محتاجة الى الزق حتى اذا كبرت واشتدت ولقطت واستغنت عن أبويها صارت اذا تعرضت له لنيل ماعتادت ضربها وصرفها عن نفسه واشتغل بغيرها. ثم انظر ماخلق الله تعالى فى الكواسر من شدة الطيران حتى لايسبق له من يطلبه ومن قوة المخلب وحدته في المنقار والاظفار فكأن مخلبها مدية للقطع وكأن مخلب أرجلها خطاطيف يعلق فيها اللحم حتي تصل الى ماتحتاجه من قوتها. أنظر الى طير الماء لما جعل قوته في الماء كيف جعل فيه قوة السباحة والغطس ليأخذ من جوف الماء رزقه فجعل سبحانه وتعالى لكل صنف من الطيور ما يليق به في تحصيل قوته

﴿ باب في حكمة خلق البهائم ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) اعلم وفقك الله وايانا أن الله خلق البهائم لمنافع العباد امتنانا عليهم كما نبهت على ذلك هذه الآية فخلقها الله بلحم مثبت على عظام صلبة تمسكه وعصب شديد وعروق شداد وضم بعضها الى بعض ولم يجعلها لينة رخوة ولا صلبة كصلابة الحجارة وجعل فوق ذلك جلداً اشتمل على أبدانها كلها لتضبطها وتنقها لانها أريد منها القوة للعمل والحمل ثم خلقها سبحانه سميعة بصيرة ليبلغ الانسان حاجته منها

لانها لو كانت عمياء صماء لم ينتفع بها الانسان ولا وصل بها الى شئ من مآربه
ثم منعت العقل والذهن حكمة من الله لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها
عند حاجته الى اكدادها في الطحن وحمل الاثقال عليها الى غير ذلك وقد
علم الله أن بالناس حاجة الى أعمالها وهم لا يطيقون إعمالها ولا يقدرون عليها
ولو كلف العباد القيام بأعمالها لاجهدهم ذلك واستفرغ قواهم فلا يبقى فيهم
فضلة لعمل شئ من الصناعات والمهن التى يختصون بعملها وخلقتهم قابلة لها
ولا غنى لهم عنها وتحصيل الفضائل من العلوم والآداب ولو كان ذلك مع اتعابه
لابدانهم يضيق عليهم معايشهم فكان قضاؤه على هذا تسخيرها لهم من النعم
العظيمة أنظر فى خلق أصناف من الحيوان وتهيئتها لما فيه صلاح كل صنف منها فبنو
آدم لما قدروا أن يكونوا ذوى علاج لتصناعات واكتساب للعلوم وسائر
الفضائل ولا غنى لهم عن البناء والحياكة والنجارة وغير ذلك خلقت لهم العقول
والاذهان والفكر وخلقت لهم الاكف ذوات الاصابع ليتمكنوا من القبض
على الاشياء ومحاولات الصناعات * وآكلات اللحم لما قدر أن يكون عيشها
من الصيد ولا تصلح لغيره خلقت لها مخالب وسرعة نهضة وانياب * وآكلات
النبات لما قدر أن تكون غير ذات صنعة ولا صيد خلقت لبعضها اظلاف
كفتها خشونة الارض اذا جالت في طلب المرعى ولبعضها حوافر مستديرة
ذات قعر كأخمص القدمين لتنطبق على الارض وتهيأ للحمل والركوب .
تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان كيف خلقت ذوات أسنان
حداد وأتراس شداد وأفواه واسعة وأعينت بسلاح وأدوات تنال بذلك
ما تطلبه فان ذلك كله صالح للصيد فلو كانت البهائم التى عيشها النبات ذوات
مخالب وأنياب كانت قد أعطيت مالا تحتاج اليه لانها لا تصطاد ولا تأكل اللحم
ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج اليه من السلاح

الذي به تصطاد، فانظر كيف أعطي سبحانه كل واحد من أصناف الحيوان
ما يشاكله وما فيه صلاحه وحياته أنظر الى أولاد ذوات الاربع كيف يجدها
تتبع الامهات مستقلة بنفسها لاتحتاج الى تربية وحمل كما يحتاج الآدميون اذ لم
يجعل في أمهاتها ما جعل فى أمهات البشر من العقل والعلم والرفق في أحوال
التربية والقوة عليها بالفكر والاكف والاصابع المهيأة لذلك ولغيره فلذلك
أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها ولذلك ترى فراخ بعض الطير مثل الدجاج
والدراج تدرج وتلقط عقيب خروجها من البيضة وما كان منها ضعيفا لا نهوض
له مثل فراخ الحمام واليمام جعل في الامهات عطف عليها فصارت توعى الطعام
فى حواصلها ثم تمجه في أفواه فراخها ولا تزال كذلك حتى تنهض وتستقل
فكل أعطى من اللطف والحكمة بقسط. فسبحان المدبر الحكيم . انظر الى
قوائم الحيوان كيف ينتقل أزواجا لتهيأ للمشي فلو كانت افرادا لم تصلح لذلك
لان المائى منها ينقل منها بعضه ويعينه على مشيه اعتماده على ما لم ينقله منها
فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الاخرى وذو الاربع ينقل اثنتين
ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لانه لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه
يعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الارض كالسرير ولو
كان يرفع يديه ويتبعها برجليه لفسد مشيه فجعل ينقل اليمنى من مقدمه على
اليسرى من مؤخره ويعتمد على الاخريين من خلاف أيضا فيثبت على الارض
ولا يسقط اذا مشي لسرعة التحاقهما فيما بين المشى والاعتماد أما ترى الحمار يذل
للحمولة والطحن والفرس مبرأ منها والبعير لا تطيقه عدة رجال لو استعصي
وينقاد لصبي صغير والثور الشديد يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه
ليستحرثه والفرس تركب ويحمل عليها السيوف والاسنة في الحرب وقاية
لراكبها والقطيع من الغنم يرعاها صبي واحد فلو تفرقت فأخذت كل شاة

منهاجهة لنفورها لتعذرت رعايتها وربما أعجزت طالبها وكذلك جميع الحيوان المسخر للانسان وما ذلك الالانها عدمت العقل والتروى فكان ذلك سببا لتذليلها فلم تلتو على أحد من الناس وان كدها فى كثير من الاحوال وكذلك السباع لوكانت ذوات عقل وروية لتواردت علي الناس وأنكتهم نكاية شديدة عظيمة ولعسر زجرها ودفعها ولاسيما اذا اشتدت حاجتها في طلب قوتها ويشتد خللها ألا ترى كيف اذا أحجمت عن الخلق وصارت فى أماكنها خائفة تهاب مساكن الناس وتحجم عنها حتي صارت لاتظهر ولا تنبعث في طلب قوتها في غالب أحوالها الاليلا فجعلها مع شدة قوتها وعظم غذائها كالخائفة من الانس بل هى ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم في منازلهم وضيقت عليهم في مساكنهم. ألا ترى الكلب وهو من بعض السباع كيف سخر في حراسة منزل صاحبه حتي صار يبذل نفسه ويترك نومه حتى لايصل الى صاحبه مايؤذيه ثم انه أعان صاحبه بقوة صوته حتي ينتبه من نومه فيدفع عن نفسه ويألفه حتى يصبر معه على الجوع والعطش والهوان والجفاء فطبع علي هذه الخلال لمنفعة الانسان في الحراسة والاصطياد ولما جعله البارى سبحانه حارساً أمده بسلاح وهي الانياب والاظفار واللهث القوى ليذعر به السارق والمريب وليجتنب المواضع التى يحميها ثم انظر كيف جعل ظهر الدابة سطحا مثبتا على قوائم أربع لتمهيد الركوب والحمولة وجعل فرجها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضرابها اذ لوكان أسفل باطنها كالآدمي لم يتمكن الفحل منها ألا ترى أنه لايستطيع ان يأتيها كفاحا كما يأتى الرجل المرأة فتأمل هذه الحكمة والتدبير ولما كان فرج الفيلة تحت بطنها فاذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من اتيانها فلما لم يخلق في الموضع المخلوق في الانعام والبهائم خلقت فيه هذه الصفة ليقوم الامر

الذى به دوام التناسل وذلك من عظيم العبر ثم انظر كيف كسيت أجساد البهائم الشعر والوبر ليقيها ذلك الحر والبرد وغيره من الآفات وحملت قوائمها على الاظلاف والحوافر ليقيها ذلك من الحفا وما كان منها بغير ذلك جعلت له أخفاف تقوم مقام الحافر فى غيره ولما كانت البهائم لااذهان لها ولا كف ولا أصابع تتهيأ للاعمال كفيت مؤنة مايضر بها بان جعلت كسوتها فى خلقتها باقية عليها مابقيت فلا تحتاج الى استبدالها ولاتجديد بغيرها بخلاف الآدمى فانه ذوفهم وتدبير وأعضاء مهيأة لأعمال مايقترحه وله فى اشغاله بذلك صلاح وفيه حكمة فانه خلق على قابلية لفعل الخير والشر وهو الى فعل الشر أميل منه الى فعل الخير فجعلت الاسباب التى يحصل بها ماهو محتاج اليه ليشتغل بها عما فيه فساده وهلاك دينه فانه لو أعطى الكفاية في كل أحواله أهلكه الاشر والبطر وكان من أعظم الحيوانات فساداً في الارض ولتصرف بعقله الذى هو مخلوق لينال به السعادة الى مافيه شقاوته ثم ان الآدمى مكرم يتخير من ضروب الملابس ماشاء فيلبس منها ماشاء ويخلع منها ماشاء ويتزين بها ويتجمل ويتلذذ منها بما يشاء ويكمل بها زينته وجماله وبهاءه في عين من يصحبه ويحب قربه ويطيب بذلك رائحته وينعش نفسه وهذا من باب النعمة عليه والكرامة له بخلاف البهائم فانها غنية عن هذا كله. انظر فيما ألهم الله البهائم والوحوش في البرارى فانها توارى أنفسها كما يوارى الناس موتاهم فما أحس منها بالموت توارى بنفسه الى موضع يحتجب فيه حتى يموت والا فأين جثث السباع والوحوش وغيرها فانك لو طلبت منها شيئاً لم تجده وليست قليلة فيخفي أمرها لقلتها بل لو قال قائل انها أكثر من الانس لم يبعد لان الصحاري قد امتلأت من سباع وضباع وبقر وحمير ووعل وابل وخنزير وذئاب وضروب من الهوام والحشرات وأصناف من الطير وغير ذلك مما لا يحصى عدده وهذه الاصناف فى كل يوم يخلق منها

ويموت منها ولا يرى لها رمم موجودة والذى أجرى الله به عادته أن تكون في أماكنها فاذا أحست بالموت أتت الى مواضع خفية فتموت فيها فانظر هذا الامر الذي ألهمه هذه الاصناف في دفن جثثها بما فطرت عليه وشخص لبنى آدم بالفكر والتروى، تأمل الدواب كيف خلقت أعينها شاخصة أمامها لتنظر ما بين يديها فلا تصدم حائطا ولا تتردى في حفرة واذا قربت من ذلك نفرت منه وأبعدت نفسها عنه وهى جاهلة بعاقبة مايلحقها منه أليس الذى جبلها على ذلك أراد صلاحها وسلامتها لينتفع بها ثم انظر الي فمها مشقوقا الى أسفل الخطم لتتمكن من نيل العلف والرعى ولو جعل كفم الانسان لم تستطع أن تتناول شيئاً من الارض وأعينت بالجحفلة لتقصم بها ماقرب منها فألهمت قصم ما فيه صلاحها وترك ما لا غذاء لها فيه ولا صلاح انظر ما كان من البهائم كيف يمزز الماء فى شربه مزاً وكيف خلقت فيه شعرات حول فمه يدفع بها ما كان على وجه الماء من القذى والحشيش ويحركها تحريكا يدفع به الكدر عن الماء حتى يشرب صفوه فتقوم لها هذه الشعرات مقام فم الانسان ثم انظر الى ذنب البهيمة وحكمته وكيف خلق كأنه غطاء فى طرفه شعر فمن منافعه أنه بمنزلة الغطاء على فرجها ودبرها ليسترها ومنها أن ما بين دبرها وطريق يطئها أبداً يكون فيه وضر يجتمع بسببه الذباب والبعوض ويجتمع أيضاً على مؤخرها فأعينت على دفع ذلك بتحريك ذنبها فصار كأنه مذبة فى يدها تذب بها وتطرد عنها ما يضر بها ثم انها تعطف برأسها فتطرد به ما فى مقدمها من الذباب أيضاً ثم ان الدابة أيضاً أعينت بحركة مختصة وذلك أن الذباب اذا وقع عليها فى مواضع بعيدة من رأسها وذنبها حركت ذلك الموضع من جلدها تحريكا تطرد به الذباب وغيره عنها وذلك من عجيب الحكمة فيما لا ينتفع بيدين ومن الحكمة فيه أيضاً أن الدابة تستريح بتحريكه يمنة ويسرة لانها لما كان قيامها على

أربع اشتغلت يداها أيضاً بالحمل لبدنها والتصرف فجعل لها فى تحريك ذنبها منفعة وراحة وأعينت بسرعة حركته لئلا يطول المها بما يعرض لها ومن الحكمة فيه أن البهيمة اذا وقعت في بركة أو مهواة أو وحلت فى طين أو غيره فلا تجد شيئاً أهون على نهوضها وخلاصها منه من الرفع بذنبها ومن ذلك اذا خيف على حملها أن ينقلب على رقبتها عند هبوطها من مكان مصبوب أو ليسبقها رأسها فتنكب على وجهها فيكون مسكها بذنبها فى هذه المواضع يمدها ويعينها على اعتدال سيرها وسلامتها مما خيف منه عليها الى غير ذلك من مصالح لا يعلمها الا الحكيم العليم، انظر الى مشفر الفيل وما فيه من الحكمة والتدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف وايصاله الى فمه فلو لا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً في الارض اذ لم تجعل له عنق يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق في هذا الخلق جعل له هذا الخرطوم يمده فيتناول به مايحتاجه فسبحان اللطيف الخبير، انظر كيف جعل هذا الخرطوم وعاء يحمل فيه الماء الى فمه ومنخراً يتنفس منه وآلة يحمل بها ما أراد على ظهره أو يناول من هو راكب عليه انظر الى خلق الزرافة لما كان منشأها فى رياض شاهقة خلق لها عنقا طويلا لتدرك قوتها من تلك الاشجار تأمل فى خلق الثعلب فانه اذا حفر له بيتاً في الارض جعل له فوهتين احدهما يتسرب منها والاخرى يهرب منها ان طلب ويرقق مواضع فى الارض فى بيته فان طلب من المواضع المفتوحة ضرب برأسه في المواضع التى رققها فخرج من غير المنافذ وهي المواضع التي تحتها انظر ماخلق الله تبارك وتعالي في جبلته لصيانة نفسه، وجملة القول فى الحيوان ان الله تبارك وتعالى خلقه مختلف الطباع والخلق فما كان منه ينتفع الناس بأكله خلق فيه الانقياد والتذلل وجعل قوته النبات وما جعل منه للحمل جعله هادئ الطبع قليل الغضب منقاداً منفعلا على صور يتهيأ منه الحمل وما كان منه ذا

غضب وشر الا أنه قابل للتنظيم اذا نظم خلق فيه هذا القبول للتعليم ليستعين العباد بصيده وحراسته وأعين بآلات قد تقدم ذكرها ومن جملة ذلك الفيل فانه ذوفهم مخصوص به وهو قابل للتأنس والتعلم فيستعان به فى الحمل والحروب ومنها ماله غضب وشر الا أنه متأنس بالانسان لمنفعته كالهرة ومن الطير ماللناس به انتفاع لما فيه من الالفة والتأنس فمن ذلك الحمام يألف موضعه فتنقل بسببه الاخبار بسرعة اذا دعت حاجة الى ذلك وجعله الله سبحانه كثير النسل فيكون منه طعام ينتفع به ومن ذلك البازى فان طباعه تنتقل الى التأنس وان كان فى طبعه مباينا الا أنه لما علم الله أنه ينتفع بصيده جعل فيه القبول للتنظيم حتي خرج عن عادته وبقي يعمل مايوافق أصحابه وقت الصيد وماخفي من الحكم في خلق الله تعالى أكثر مما علم

(باب في حكمة خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب وغير ذلك)

قال الله سبحانه وتعالى (ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) انظر الى النمل وما ألهمت له في احتشادها في جميع قوتها وتعاونهم على ذلك واعداده لوقت عجزها عن الخروج والتصرف بسبب حر أو برد والهمت فى تقلب ذلك من الحزم مالم يكن عند من يعرف العواقب حتى تراها في ذلك اذا عجز بعضها عن حمل مايحمله أوجهد به اعانه آخر فيه فصارت متعاونة على الثقل كما يتعاون الناس على العمل الذى لايتم الا بالتعاون ثم انها ألهمت حفر بيوت في الارض تبتدئ فى ذلك باخراج ترابها وتقصد الى الحب الذي منه قوتها فتقسمه خشية أن ينبت بنداوة الارض فمن خلق هذا في جبلتها الا الرحمن الرحيم ثم اذا أصاب الحب بلل أخرجته فنشرته حتي يجف ثم انها لاتتخذ البيوت الا فيما علا من الارض خوفا من السيل ان يغرقها ثم انظر الى النحل وماألهمت اليه

من العجائب والحكم فان البارى سبحانه جعل لها رئيساً تتبعه وتهتدي به فيما تناله من أقواتها فان ظهر مع الرئيس الذى تتبعه رئيس آخر من جنسه قتل احدهما لآخر وذلك لمصلحة ظاهرة وهو خوف الافتراق لانهما اذا كانا أميرين وسلك كل واحد منهما فجا افترق النحل خلفهما ثم انها الهمت ان ترعى رطوبات من أعلى الازهار فتستحيل في أجوافها عسلا فعلم من هذا التسخير مافيه من مصالح العباد من شراب فيه شفاء للناس كما أخبر سبحانه وتعالى وفيه غذاء وملاذ للعباد وفيه من أقوات فضلات عظيمة جعلت لمنافع بنى آدم فهي مثل مايفضل من اللبن الذى خلق لمصالح أولاد البهائم وأقواتها ومافضل من ذلك ففيه من البركة والكثرة ماينتفع به الناس . ثم انظر ماتحمله النحل من الشمع بارجلها لتوعى فيه العسل وتحفظه فلا تكاد تجد وعاء أحفظ للعسل من الشمع في الاجناح فانظر في هذه الذبابة هل فى علمها وقدرتها جمع الشمع مع العسل أو عندها من المعرفة بحيث رتبت حفظ العسل مدة طويلة باستقراره فى الشمع وصيانته في الجبال والشجر في المواضع التي تحفظه ولا يفسد فيها ثم انظر لخروجها نهارا لرعيها ورجوعها عشية الى أماكنها وقد حملت ما يقوم بقوتها ويفضل عنها ولها فى ترتيب بيوتها من الحكمة فى بنائها حافظ لما تلقيه من أجوافها من العسل ولها جهة أخرى تجعل فيها برازها مباعداً عن مواضع العسل وفيها غير هذا مما انفرد الله بعلمه . انظر الى العنكبوت وماخلق فيها من الحكمة فان الله خلق في جسدها رطوبة تنسج منها بيتا لتسكنه وشركا لصيدها فهو مخلوق من جسدها وجعل الله غذاءها من أقواتها ينصرف الى تقويم جسدها والى خلق تلك الرطوبة المذكورة فتنصبه أبداً مثل الشرك وفى ركن الشرك بيتها وتكمن في بيتها بحيث يغيب شخصها والشرك من خيوط رقاق تلتف على أرجل الذباب

والناموس وما أشبه ذلك فاذا أحست أن شيئاً من ذلك وقع في شركها خرجت اليه بسرعة وأخذته محتاطة عليه ورجعت الى بيتها فتغنات بما يتيسر لها من رطوبة تلك الحيوانات وان كانت مستغنية فى ذلك الوقت شكلته وتركته الي وقت حاجتها فانظر ما جعل الله فيها من الاسباب لحصول قوتها فبلغت فى ذلك ما يبلغه الانسان بالفكرة والحيلة كل ذلك لصلاحها ولنيل قوتها ولتعلم أن الله هو المدبر لهذا . ثم انظر من العجائب دود القز وما خلق فيه من الاشياء التى يتحير منها ويذكر الله عند رؤيتها فان هذا الدود خلق لمجرد مصلحة الانسان ومنافعه فان هذا الحيوان الذي يخلق من جسمه الحرير وذلك أن صورة البزر تحضن حتى اذا حمى عاد دوداً كالذر فيوضع هذا الدود على ورق التوت فيغتذى منه فلا يزال يرعى منه حتي يحفر جسمه فينبعث الى غزل جوز الحرير فلا يزال كذلك حتي يفنى جسمه وتعود جوزة حرير ويصير هو جسما ميتا لا حياة فيه . ثم انظر فان البارى سبحانه لما أراد حفظ هذا الجنس ببقاء نسله فعند ما ينتهى من غزل الحرير ويبقى ذلك الجسم يقلبه الله الى صرة طائر صغير قريب من صورة النحل فيجمع على بساط أو غيره وهو في رأي العين جنس واحد لا يتميز منه الذكر من الانثي فيعلو الذكر منه على ظهر الانثى ويقيم لحظة على ظهرها فتحبل لوقتها وتلد لوقتها مثل ذلك البزر الذى حضن أولا ثم يطير فيذهب فلا يبقى بها انتفاع اذ قد حصل منها المقصود وهو ذلك البزر فانظر من ألهمها الرعى من ذلك الورق حتى تربت منه ومن ألهمها الى غزل أجسادها حريراً حتى يفني بما غزلته ومن ربى لها أجنحة وقلب صورتها حتي صارت على هيئة يمكن فيها اجتماع الذكر والانثى لتناسلها ولو بقيت على صورتها الاولى لم يأت منها تناسل ولا هذا الاجتماع ثم انظر ما يسره البارى سبحانه من عمل ما غزلته هذه

الدودة علي من يعمله من بنى آدم حتى يكون منه أموال كثيرة وملابس عظيمة وزينة وانظر هذا التسخير العجيب في هذا الحيوان اللطيف وما أظهر فيه سبحانه من بديع الصنع وعجيب الفعل وعظيم الاعتبار وما جعل فيه من البرهان والآيات على بعث الاموات واعادة العظام الرفات سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم . ثم انظر لذبابة وما أعينت به فى نيل قوتها فانها خلقت بأجنحة تسرع بها الى موضع تنال فيه قوتها وتهرب بها عما يهلكها ويضربها وخلق لها ستة أرجل تعتمد على أربع وتفضل اثنتين فان أصابها عثار مسحته بالرجلين اللتين تليهما وذلك لرقة أجنحتها ولان عينيها لم يخلق لهما اهداب لانهما بارزتان عن رأسها وجعل هذا الحيوان وما جرى مجراه مما يتعلق ببني آدم ويقع عليهم دائما وينغص عليهم عيشهم ليعرفهم الباري سبحانه هو ان الدنيا حتى تصغر عندهم ويهون أمر فراقها وهو وجه من وجوه الحكمة عليهم تأمل كثيراً من الحيوان الصغير عند ما تلمسه يعود كانه جماد لا حراك به ويبقى علي ذلك ساعة ثم يتحرك ويمشى وهل ذلك الا لان ما يصطاد انما يصطاد اذا دلت هيئته على عدم حياته فاذا كان شبيها بالجماد ترك كما تترك سائر الحجارة . تأمل العقاب عند ما يصطاد السلحفاة يجدها كانها حجر ولا يجد فيها موضعا لاكله فيصعد بها في مخالبه حتي اذا بعد من الارض اعتدل بها على جبل أو حجارة وأرسلها فتهشمها الوقعة فيسقط عليها فيأكلها فانظر كيف الهم الطريق فى نيل قوته من غير عقل ولا روية نظر الى الغراب لما كان مكروها خلق فى طبعه الحذر لصيانة نفسه حتى كان يعلم الغيب فيمن يقصده والهم الاحتيال فى اخفاء عشه لصون فراخه وقلل احتفاله بالانثى خشية أن تشغله عن شدة حذره ولذلك قل ان يرى مجتمعا مع أنثى فهذا أبداً دأبه وحاله مع من له عقل وفطنة وتراه مع البهائم على خلاف ذلك فيقف على ظهورها ويأكل من دم البعير ومن أرواث الدواب

وقت تبرزها واذا وجد شيئا من قوته وأكل منه وشبع دفن باقيه حتى يعاوده وقتا آخر فمن خلق هذا فى طبعه ودبره بهذا التدبير العجيب الا الله لانه لا عقل له ولا روية . أنظر الى الحدأة لما كانت مكروهة حفظت نفسها بقوة طيرانها وتعاليها وحفظت فى أمر قوتها بقوة بصرها فانها ترى ما تقتات به في الارض مع علوها فى الجو فتنحط نحوه بسرعة والهمت معرفة من هو مقبل ومن هو مدبر فتخطف ما تخطفه من الناس من وراءهم ولا تخطف مما يستقبلها لئلا يمنعها المستقبل بيديه وأعينت لما كان غذاؤها من هذه الوجوه بأن جعلت لها مخالب كانهم السنانير لا يكاد يسقط منها ما ترفعه فسبحان المدبر الحكيم . انظر الى الحيوان المسمى حرباء وما فيه من التدبير فانه لما خلق بطيئا فى نهضته وكان لا بد له من قوته فخلق على صورة عجيبة فخلقت عيناه تدور لكل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى جسده ولا قصد اليه ويبقى جامداً كانه ليس من الحيوان ثم اعطى مع السكون أن يتشكل فى لون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب أو غيره أخرج لسانه فيخطف ذلك بسرعة خفوق البرق ثم يعود على حالته كانه جزء من الشجرة وجعل الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق به ما بعد عنه بثلاثة أشبار أو نحوه فقد سخر له ما يصطاد به على هذه المسافة واذا رأى ما يريعه ويخيفه تشكل على هيئة وشكل ينفرمنه من يصطاده من الحيوان ويكرهه فانظر هذه التى خلقت فيه لاجل قلة نهضته فاعين بها . انظر الى الحيوان الذى يسمى سبع الذباب وما أعطى من الحيلة والرفق فيما يقتات به فانك تجده يحس بالذباب قد وقع قريبا منه فيركد مليا حتى كانه ميت أو جماد لا حراك به فاذا أحس ان الذباب قد اطمأن دب دبيبا رقيقا حتي لا ينفره حتي اذا صار قريبا منه بحيث يناله بوثبة وثب عليه فأخذه فاذا أخذه

اشتمل عليه بجسده كله خشية ان يتخلص منه الذباب فلا يزال قابضا عليه حتي يحس ببطلان حركته فيقبل عليه فيغتذى منه بما يلائمه منه فانظر الى هذه الحيلة أهي من فعله أو هى مخلوقة من أجل رزقه فسبحان البارى الحكيم . انظر الى الذر والبعوض الذى أوهن الله قوتها وأصغر قدرها وضرب بها المثل في كتابه هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها من جناح تطير به ورجل تعتمد عليها وبصر تقصد به موضعا تنال فيه قوتها وآلة لهضم غذائها واخراج فضلته وانظر هل يمكن ان يعيش من غير قوت وهل يمكن ان يكون القوت في غير محل واحد واخراجه فضلته من غير منفذ ثم انظر كيف دبرها العزيز الحكيم فسواها وقدر أعضاءها واستودعها العلم والمعرفة بمنافعها ومضارها وكله دليل على علمه وقدرته وحكمته البالغة فهى بعوضة صغرت فى النظر ومع هذا فلو ان أهل السموات والارض من الملائكة فمن دونهم من العالمين وسائر الخلق أجمعين ارادوا ان يعرفوا كيف قسم الخالق سبحانه أجزاءها وحسن اعتدال صورتها فى أعضائها لما قدروا على ذلك الا تظاهراً لمنظر العجز منهم على عدم علم حقيقة الخبر ولو اجتمعوا ثم تفكروا كيف ركبت معرفتها حتى عرفت أن ما بين الجلد واللحم دما وهو الذى هو غذاؤها ولولا معرفتها به لم تقدم على مصه حتى تطعمه وكيف همتها التي قصدت بها أن تطير الى الموضع الذى ألهمها ربها أن فيه غذاءها وكيف خرق سمعها وكيف سمعت حس من يقصدها وكيف عرفت أن نجاتها في الفرار اذا ولت هاربة ممن قصدها فان يدرك ذلك منها الخلائق أجمعون ولو جزؤها ما ازدادوا فى أمرها إلا عمىً وبعداً عن المعرفة فهذه الحكمة والقدرة فى بعوضة فما ظنك بجميع مخلوقاته سبحانه وتعالى علواً كبيراً

﴿ باب فى حكمة خلق السمك وما تضمن خلقها من الحكم ﴾

قال الله تعالى (وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا) انظر واعتبر بما خلق الله تعالى فى البحار والانهار من الحيوان المختلف الصور والاشكال وما فيه من الآيات البينات فانه تعالى لما جعل مسكنه فى الماء لم يخلق له قوائم ولم يخلق فيه رئة لانه لا يتنفس وهو منغمس فى لجة الماء وخلقت له مكان القوائم أجنحة شداد يحركها من جانبه فيسير بها حيث شاء وكسا جلده كسوة متداخلة صلبة تخالف لحمه متراصة كأنها درع لتقيه ما يعمد اليه وما يؤذيه وما لم يخلق له من السمك تلك الكسوة وهي القشر المتداخل المخلوق على ظاهره خلق له جلداً غليظاً متقنا يقوم له مقام تلك الكسوة لنيره وخلق له بصراً وسمعا وشما ليستعين بذلك على نيل قوته والهرب مما يؤذيه. وانظر كيف أعطي فى تمر البحر ما يناسبه فى نيل القوت والهرب مما يضره ولما علم الله سبحانه أن بعضه غذاء لبعض كثره وجعل أكثر أصنافه يحمل ولم يجعل الحمل منه مخصوصا بالاني دون الذكر كحيوان البر بل جعل الذكر والانثى جنساً واحداً يخلق فى بطونها مرة واحدة في وقت معلوم ذريعة مجتمعة مشتملة على عدد لا ينحصر فيخلق من جوف واحدة عدداً لا يحصي وذلك من كل بزرة حوتا من الجنس ومن جنس آخر يخلق في الانهار وغيرها بغير توالد فيخلق منها أعداداً لا تحصر دفعة واحدة ومنه صنف يتوالد بالذكر والانثي وهذا الجنس يخلق له يدان ورجلان مثل السحلفاة والتمساح وماشاكلهما فيتولد منهما بيض فاذا تفقص البيض بحرارة الشمس خرج من كل بيضة واحد من الجنس ولما علم الله سبحانه وتعالى أن السمك فى البحر لا يمكن أن يحضن ما يخرج من بزره ألقى الروح في بزر جميعه عند ما يولد فيجد فيه جميع ما يحتاجه من الاعضاء عند إلقاء الروح فيه فيستقل ولا يفتقر الى أحد في كمال خلقه فانظر

هذه الحكمة واللطف حيث لم يمكن حضانته فى البحر ولا تربيته ولا معونته البتة جملة مستقلا بنفسه مستغنيا عن ذلك كله ثم ان الله سبحانه كثره لان منه قوت جنسه وقوتا لبنى آدم والطير فلذلك كان كثيراً ثم انظر الى سرعة حركته وان لم تكن له آلة كغيره من الحيوان وانظر الى حركة ذنبه وانقسامه وكيف يعتدل بذلك في سيره كما تعتدل السفينة برجلها في سيرها وخلقت ارياشه ألواحا من جانبيه ليعتدل بهما أيضاً في سيره فهو بمنزلة المركب وانظر الى عظامه كيف خلقت مثل العمد يبنى عليها ففي كل موضع منه ما يليق به من صورة العظم المشاكل لذلك العضو فهو كانشاء المركب يمتد العظم الجافي الذي هو قوته ويخرج من أضلاع الى مراق البطن والظهر وعظام الرأس يحتاج اليه من الامر وبه قوامه وانظر الى ما كان منه كاسراً كيف أعين على نيل قوته بصلابة اللحم وقوة النهضة وكثرة الاسنان حتى انه لكثرة أسنانه تكون العضة الواحدة تجزيه عن المضغ. انظر الى ما خلق الله فى البحر ضعيفا قليل الحركة مثل أصناف الصدف والحلزون كيف حفظ بأن خلق عليه ذلك الحصن الذى هو صلب كالرخام ليصونه ويحفظه وجعله له بيتا وسكنا وجعل ما يلى جسده ناعماً انعم ما يكون وربما ضربيت بعض أصناف الحلزون حتى لا يكون فيه مطمع البتة وأصناف منه خلقت في محائز مفتوحة لا يمكن صيانتها لنفسها لتغلقها ولا يضيق مسلكها فجعل الله لها من الجبال والحجارة مغطا وجعل لها أسبابا تلتصق بها فى الجبل فلا يستطاع اخراجها الا بغاية الجهد وجعل لها قوتا من رطوبات الجبل تأتى حيانها بذلك واما الحلزون الذي بيته كأنه كوكب فانه يخرج رأسه يرعى فاذا أحس بما يؤذيه أدخل رأسه في بيته وختم عليه بطابع صلب يقرب من صلابة بيته فيغيب أثره بالجملة فانظر هذا اللطف وان الله لم يهمل شيئا واعلم ان الله حافظ لما فى البحار وما في الآكام والجبال فتبارك الذى

أعطي كل شئ خلقه ثم هدى . وانظر الى أنواع من السمك يرعى قرب البر الصغير منها والجافي في الاعماق وقد خلق الله في جوفه صبغا كانه حبر وهو يخلق له فيه من فضلة غذائه كما يخلق اللبن في الضرع فاذا أحس بما يؤذيه اخرج من جوفه مايعكر موضعه ثم يذهب فى الماء الذى تغير فلا يعرف كيف ذهب ولا كيف طريقه من تغير الماء فعل الله ذلك له وقاية لنفسه وفعل فيه مصالح أخر لا يعلمها الا خالقها . انظر الي نوع آخر من السمك أعين باجنحة مثل أجنحة الخفاش ينتقل بها عند وقوع الانواء من موضع الى موضع فى الهواء من وجه الماء يظهر لمن لا يعرف ذلك أنه من طيور البر . انظر الى نوع آخر من أنواع السمك ضعيف وكثيراً مايكون في الانهار وجعل الله فيه خاصية تصونه اذا اقتربت منه تأخذه وفيه الروح تخدر البدن واليد فيعجز قاصده عن أخذه بذلك السبب فلو ملئت الكتب بعجائب حكم الله فى خلق واحد لامتلأت الكتب وعجز البشر عن استكمالها وما هو المذكور فى كل نوع تنبيه يشير الى أمر عظيم

﴿ باب فى حكمة خلق النبات وما فيه من عجائب حكمة الله تعالى ﴾

قال الله تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون) انظر وفقك الله وسددك الى ماعلى وجه الارض من النبات وما في نظره من النعيم في حسن منظره وبهجته ونضارته التى لا يعدلها شئ من مناظر الارض ثم انظر الى ما جعل البارى فيه من ضروب المنافع والمطاعم والروائح والمآرب التي لا تحصي وخلق فيه الحب والنوي مخلوقا لحفظ أنواع النبات وجعل الثمار للغذاء والتفكه والاتبان منها للعلف والرعى والحطب للوقود والاخشاب للعمارة وإنشاء السفن ولغير ذلك من الاعمال التى يطول تعدادها

والورق والازهار والاصول والعروق والفروع والصموغ لضروب من المصالح لا تحصى أرأيت لو وجدت الثمار مجموعة من الارض ولم تكن تنبت على هذه السوق الحاملة لها ما كان يحصل من الخلل في عدم الاخشاب والحطب والاتبان وسائر المنافع وان وجد الغذاء بالثمرات والتفكه بها ثم انظر ما جعل الله فيها من البركات حتى صارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر من ذلك وأقل والحكمة فى زيادتها وبركتها حصول الاقتيات وما فضل ادخر للامور المهمة والزراعات وذلك فى المثال كملك أراد عمارة بلدة فاعطي أهلها من البذر مايبذرونه وفضلة يتقوتون بها اذا ادرك زرعهم فهذه هى الحكمة التى عم الله بها البلاد وأصلح بها العباد وكذلك الشجر والنخل تزكو وتتضاعف ثمراتها حتى تكون من الحبة الواحدة الشئ العظيم ليكون فيه ما يأكله العباد ويصرفونه في مآربهم ويفضل مايدخر ويغرس فيدوم جنسه ويؤمن انقطاعه ولولا نموه وبقاء مايخلفه لكان ما اصابته جائحة ينقطع فلا يوجد مايخلف . تأمل فى هذه الحبوب فانها تخرج في أوعية تشبه الخرائط لتصونها وتحفظها الى أن تشتد وتستحكم كما تخلق البشيمة على الجنين فأما البزر وما أشبهه من الحبوب فانه يخرج من قشور صلبة على رؤسها أمثال الاسنة ليمنع من الطير فانظر كيف حصنت الحيوانات بهذه الحصون وحجبت لئلا يتمكن الطير منها فيصيب بها وان كان يناله منها قوته الا أن حاجة الآدمي أشد وأولى . تأمل الحكمة فى خلق الشجر وأصناف النبات فانها لما كانت محتاجة الى الغذاء الدائم لحاجة الحيوانات ولم يخلق فيها حركات تنبعث بها ولا آلات توصل اليها غذاءها جعلت أصولها مركوزة فى الارض لتجذب الماء من الارض فتغتذي بها أصولها وما علا منها من الاغصان والاوراق والثمار فصارت الارض كالام المربية لها وصارت أصولها وعروقها كالافواه الملتقمة لها وكأنها

ترضع لتبلغ منها الغذاء كما ترضع أصناف الحيوان من أمهاتها ألم تر الى عمد الخيم والفسطاط كيف يمتد بالاطناب من كل جانب ليثبت منصبته فلا يسقط ولا يميل فهكذا أمر النبات كله له عروق منتشرة فى الارض ممتدة الى كل جانب وتمسكه وتقيمه ولولا ذلك لم تثبت الاشجار العالية لا سيما فى الرياح العاصفة فانظر الى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة واقتدى الناس فى أعمالهم بحكمة الله في مصنوعاته .. وتأمل خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا عجيبا لو كان مما يصنع بأيدى البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة الا فى مدة طويلة وكان يحتاج فيه الى آلات وطول علاج فانظر كيف يخرج منه فى المدة القليلة ما يملأ السهل والجبال وبقاع الارض بغير آلة ولا حركة الا قدرة الباري وارادته وحكمه .. ثم انظر تلك العروق كيف تتخلل الورق بأسره لتسقيه وتوصل اليه المادة وهى بمنزلة العروق المبثوثة فى بدن الانسان لتوصل الغذاء الى كل عضو منه وأما ما غلظ من العروق فانها تمسك الورق بصلابتها وقوتها لئلا ينتهك ويتمزق ثم انظر الى العجم والنوي والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقامه اذا عدم ما يغرس أو عاقه سبب فصار ذلك كالشئ النفيس الذى يخزن في مواضع شتى لعظم الحاجة اليه فان حدث على الذى في بعض المواضع حادث وجد منه في موضع آخر ثم فى صلابته يمسك رخاوة الثمار ورقتها ولولاه لسرحت وسرح الفساد اليها قبل ادراكها وفي بعضها حب يؤكل وينتفع بدهنه ويستعمل فى مصالح .ثم انظر الي ما خلق الله تعالى فوق النواة من الرطب وفوق العجم من العنبة والهيئة التى تخرج عليها وما فى ذلك من الطعم واللذة والاستمتاع للعباد .ثم تأمل خلق الحب والنوى وما أودع فيه من قوة وعجائب كالمودع في الماء الذي يخلق منه الحيوان وهو سر لا يعلم

حقيقته الا الله سبحانه وما علم من ذلك يطول شرحه .ثم انظر كيف حفظ الحب والنوى بصلابة وخلقت فى ظاهره قشرة حتى أنه بسبب ذلك ان سقط فى تراب أو غيره لا يفسد سريعا واذا ادخر لوقت الذراعة بقي محفوظا فصار قشره الخارج حافظا لما فى باطنه بمنزلة شئ نفيس عمل له صندوق يحفظه وعند ما يوضع فى الارض ويسقى يخرج منه عرق في النوى وغصن فى الهوى وكلما ازداد غصنا ازداد عرقا تتقوي به أصل الشجرة وينصرف الغذاء منه الى الغصن فهي كذلك اذ يتم غصنها توتها تتكون الفروع محفوظة عن السقوط بالهوى والانكسار بالنقل أو بغيره ويصعد الماء في جذرها الى أعالى الشجرة فيقسمه الله سبحانه بالقسط وميزان الحق فينصرف للورق غذاء صالح له وللعروق المشتبكة فى الاوراق لاتصال الغذاء الى جوانب الورق ما يليق بغذائها وللثمار غذاء صالح لها وللاقماع واللحاء والازهار غذاء صالح لكل من ذلك ما يليق به ويصلحه فهو كذلك حتي يكمل فى الثمار نموها وطعمها ورائحتها وألوانها المختلفة وحلاوتها وطيبها ثم انظر كيف جعل الله سبحانه خروج الاوراق سابقا لخروج الثمار لان الثمرة ضعيفة عند خروجها تتضرر بحر الشمس وبرد الهواء فكانت الاوراق ساترة لها وصار ما بينها من الفرج لدخول أجزاء من الشمس والهواء لا غنى للثمرة عنها فيحفظها ذلك من المن والعفن وغير ذلك من الفساد .ثم انظر كيف رتب الباري سبحانه الاشجار والثمار والازهار وجعلها مختلفة الالوان والاشكال والطعوم والروائح فاشكالها ما بين طويل وقصير وجليل وحقير وألوانها ما بين أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ثم كل لون منها مختلف الى شديد وصاف ومتوسط وطعومها ما بين حلو وحامض ومزوتفه ومر وروائحها الى عطرات لذيذات مختلفات وقد أوضح الكتاب العزيز من ذلك ما ذكرناه بما يشرح الصدور ويكشف

للمتأمل منه كل مستور فانظر ما أودع الباري سبحانه فيها من السر عند النظر اليها فانها تجلى عن القلوب درنها عند مشاهدتها وتنشرح الصدور برؤيتها وتنتعش النفوس لرونق بهجتها وأودع الله سبحانه فيها منافع لاتحصى مختلفة التأثير فمنها ما تقوي به القلوب ومنها أغذية تحفظ الحياة وجعلها مطعومة لذيذة عند تناولها وخلق فيها بزوراً لحفظ نوعها تزرع عند جفافها وانفصال وقت نضارتها انظر وتأمل ما في قوله عزوجل (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) فأخرج سبحانه فيما بين الحجر والماء زيتا صافيا لذيذاً نافعا كما أخرج اللبن من بين فرث ودم ومن أخرج من النحل شرابا عسلا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ولو جمعت هذه الاشياء في مستقر لكانت مثل الانهار وكل ذلك لمنافع العباد فانظر ما فيه من العبرة لذوى الافكار ثم انظر الى الماء الصاعد من العروق الراسخة الحافظة للاعلى من الشجرة وكيف قسم الباري في غذاء النخلة فقسم للجذر مايصلح لها وللجريد وما فيه من السل مايصلح لها ويناسب جريدها ويرسل للثمرة ما يليق بها وكذلك اللطيف الحافظ للاصول مع الثمرة وجعل الثمرة لما كانت ضعيفة في أول أمرها متراصة مترا كمة بعضها فوق بعض مجموعة في غلاف متقن يحفظها مما يفسدها ويغيرها حتى اذا قويت صلحت ان تبرز للشمس والهواء فانشق عنها غلافها على التدريج وهو الذى كان حافظا لها فيصير يفترق شيئا بعد شئ على قدر ما تحتمله الثمرة من الهواء والشمس حتي تكمل قوتها فتظهر جميعها حتى ما يضربها ما يلقاها من حر وبرد ثم تراها في النضج والطيب الى بلوغ الغاية المقصودة منها فيلتذ حينئذ بأكلها ويمكن الانتفاع بادخارها وتصرف في المآرب التى هيئت لها واعتبر ذلك في جميع الاشجار فانك ترى فيها من أسباب الحفظ ولطائف الصنع مايعتبر به كل ذى فهم ولب. فمن ذلك خلق الرمانة وما فيها من غرائب

التدبير فانك ترى فيها شحما مركوما في نواصيها غليظ الاسفل رقيق الاعلا كأمثال التلال فى تلوينه أو البناء الذى وسع أسفله للاستقرار ورقق أعلاه حتى صار مرصوفا رصفا كأنه منضد بالايدى بل تعجز الايدى عن ذلك التداخل الذى نظم حبها فى الشحم المذكور وتراه مقسوما اقساما أقساما وكل قسم منه مقسوم بلفائف رقيقة منسوجة أعجب نسج والطفه لتحجب حبها حتى لايلتقي بعضه ببعض فيفسد ولا يلحق البلوغ والنهاية وعليها قشر غليظ يجمع ذلك كله ومن حكمة هذه الصنعة ان حبها لو كان حشوها منه صرفا بغير حواجز لم يمد بعضه بعضا في الغذاء فجعل ذلك الشحم خلاله ليمده بالغذاء ألا تري أصول الحب كيف هي مركوزة فى ذلك الشحم ممدودة منه بعروق رقاق توصل الى الحب غذاءها والى كل حبة حبة غذاءها ومن رقها وضعفها لا تكدر على الآكل ولا تعرف بها. ثم انظر ما يصير من الحلاوة فى الحب من أصول مرة شديدة المرارة قابضة ثم تلك اللفائف على الحب تمسكه عن الاضطراب وتحفظه ثم حفظ الجميع وغشاه بقشر صلب شديد القبض والمرارة وقاية له من الآفات فان هذا النوع من النبات للعباد به انتفاعات وهو ما بين غذاء ودواء وتدعو الحاجة اليه في غير زمانه الذى يجني فيه من شجره فحفظ على هذه الصفة لذلك. انظر الى عود الرمانة الذى هى متعلقة به كيف خلق مثبتا متقنا حتى تستكمل خلقها فلا تسقط قبل بلوغها الغاية المحتاج اليها وهى من الثمرة المختصة بالانسان دون غيره من الحيوان. انظر الى النبات الممتد على وجه الارض مثل البطيخ واليقطين وما أشبه ذلك وما فيه من التدبير فانه لما كان عود هذا النبات رقيقا رديا ذا احتياج الى الماء لاينبت الا به جعل ما ينبت به منبسطا على وجه الارض فلو كان منتصبا قائما كغيره من الشجر لما استطاع حمل هذه الثمار مع طراوة عودها ولينها فكانت تسقط قبل بلوغها وبلوغ غاياتها فهي تمتد على وجه الارض لبلوغ الغاية وتحمل

الارض عودها وأصل الشجرة والسقي يمدها. وانظر هذه الاصناف كيف لا تخلق الا في الزمن الصالح لها ولمن تناولها فهي له معونة عند الحاجة اليها ولو أتت في زمان البرد لنفرت النفوس عنها ولاضرت بأكثر من يأكلها ثم انظر الى النخل لما كانت الانثى منه تحتاج الى التلقيح خلق فيها الذكر الذى تحتاج اليه لذلك حتى صار الذكر في النخل كأنه الذكر فى الحيوان وذلك ليتم خلق ما بزراعته تحفظ أصول هذا النوع. ثم انظر ما فى النبات من العقاقير النافعة البديعة فواحد يغور في البدن فيستخرج الفضلات الغليظة وآخر لاخراج المرة السوداء وآخر للبلغم وآخر للصفراء وآخر لتصريف الريح وآخر لشد البطن في الطبيعة وآخر الاسهال وآخر للقيء وآخر لروائحه وآخر للمرضى والضعفاء وكل ذلك من الماء فسبحان من دبر ملكه بأحسن التدبير

﴿باب ما تستشعر به القلوب من العظمة لعلام الغيوب﴾

قال الله العظيم (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) وقال تعالى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) وقال تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته). اعلم وفقنا الله واياك أن جميع ما تقدم ذكره في هذا الكتاب من بدائع الخلق وعجائب الصنع وما ظهر في مخلوقاته من الحكم آيات بينات وبراهين واضحة ودلائل دالات على جلال باريها وقدرته ونفوذ مشيئته وظهور عظمته فانك اذا نظرت الى ما هو أدنى اليك وهي نفسك رأيت فيها من العجائب والآيات ما سبق التنبيه عليه وأعظم منه ثم انك اذا نظرت الى مستقرك وهي الارض وأجلت فكرك فيها وأطلت النظر في استرسال ذهنك فيما جعل فيها وعليها من جبال شامخات وما أحيط بها من بحار زاخرات وما جرى فيها من الانهار وما أنبت

فيها من أصناف النباتات والاشجار وما بث فيها من الدواب الى غير ذلك مما يعتبر به أولو الالباب. ثم اذا نظرت الى سعتها وبعد أكنافها وعلمت عجز الخلائق عن الاحاطة بجميع جهاتها وأطرافها ثم نظرت فيما ذكرته العلماء من نسبة هذا الخلق العظيم الى السماء وأن الارض وما فيها بالنسبة الى السماء كحلقة ملقاة في أرض فلاة وما ذكره النظار من أن الشمس في قدرها تزيد على قدر الارض مائة ونيفا وستين جزءا وان من الكواكب ما يزيد عن الارض مائة مرة ثم انك ترى هذه النيرات كلها من شمس وقمر ونجوم قد حوتها السموات وهي مركوزة فيها ففكر فى السماء الحاوية لهذا القدر العظيم كيف يكون قدرها ثم انظر كيف ترى الشمس والقمر والنجوم والسماء والجامعة لذلك فى حدقة عينك مع صغرها وبهذا يعرف بعد هذا كله منك وعظم ارتفاعه ولاجل البعد ترى هذه النيرات صغيرة في رأي العين ثم انظر الى عظم حركتها وأنت لا تحس بها ولا تدركها لبعدها ثم انك لا تشك ان الفلك يسير في لحظة قدر كوكب فيكون سيره في لحظة قدر الارض مائة مرة وأكثر من ذلك وأنت غافل عن ذلك. ثم فكر في عظم قدر هذه الاشياء واسمع قسم الرب سبحانه بها في مواضع من الكتاب العزيز فقال عز وجل (والسماء ذات البروج) (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) وقال (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) الى غير ذلك من الآي ثم ترق بنظرك الى ما حواه العالم العلوي من الملائكة وما فيها من الخلق العظيم وما أخبر به جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن اسرافيل عليه السلام بقول جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل وان العرش لعلى كاهله وان رجليه لفي تخوم الارض السفلى وأعظم من هذا كله قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) فما ظنك بمخلوق وسع هذا الامر العظيم فارفع نظرك الى بارئ

مكتبة الإسكندرية

العظيم واستدل بهذا الخلق العظيم على قدر هذا الخالق العظيم وعلى جلاله وقدرته وعلمه ونفوذ مشيئته واتقان حكمته فى بريته وانظر كيف جميع هذا الصنع العظيم ممسوك بغير عمد تقله ولا علائق من فوقه ترفعه وتثبته فمن نظر في ملكوت السموات والارض ونظر في ذلك بعقله ولبه استفاد بذلك المعرفة بربه والتعظيم لامره وليس للمتفكرين الى غير ذلك سبيل وكلما ردد العقل الموفق النظر والتفكر فى عجائب الصنع وبدائع الخلق ازداد معرفة ويقينا واذعانا لبارئه وتعظيما ثم الخلق فى ذلك متفاوتون فلكل مثال من ذلك على حسب ماوهبه له من نور العقل ونور الهداية وأعظم شئ موصل الى هذه الفوائد المشار اليها تلاوة الكتاب العزيز وتفهم ماورد فيه وتدبر آياته مع ملازمة تقوى الله سبحانه فهذا هو باب المعرفة بالله واليقين بما عند الله . ثم انظر وتأمل ماشير اليه فانك علمت على الجملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرى به الى ان بلغ المنتهي ورأى من آيات ربه الكبري وأطلع على ملكوت ربه وتحقق أمر الآخرة والاولى ودنى من ربه حتي كان كقاب قوسين أو أدنى فما ظنك بعلم من شرف بهذا المعنى ثم أمر بأن يقول (وقل رب زدنى علما) وعلمك بمعرفته ومن عليك بنور هدايته واستعملنا واياك بطاعته وجعلنا بكرمه أجمعين من أهل ولايته بمنه وكرمه وجوده أنه ولى ذلك .. تم كتاب الحكمة في مخلوقات الله عزوجل سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

ابن سینا و تدبیر منزل

۲
۱۹۵

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

کتاب ابن سینا و تدبیر منزل

مؤلف

مترجم

موضوع

۲
۱۹۰

شماره ثبت کتاب

۵۱۶۸۵

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

۲

۱۹۰

٤٥٢

ابن سینا و تدبیر منزل

تألیف

فیلسوف شیخ الرئیس ابو علی سینا

ترجمه و نگارش :

محمد نجمی زنجانی

۳۶

کتابخانه مجلس شورای ملی

ابن سینا و تدبیر منزل

ترجمه و نگارش : محمد نجمی زنجانی

قسمت اول :
ترجمه و تحشیه رسالهٔ تدبیر منزل
(تدابیر المنازل او السیاسات الاهلیه)
تالیف فیلسوف بزرگ شیخ الرئیس ابوعلی سینا

قسمت دوم :
ترجمه قسمتی از کتاب شفا مربوط بزندگی زناشوئی و بحث در اطراف آن

از نشریات مجمع ناشر کتاب

شمارهٔ ۶

حق چاپ محفوظ

جایگاه فروش کتابفروشی ابن سینا

تهران بسال ۱۳۱۹ خورشیدی

چاپخانه ایران

نشریات « مجمع ناشر کتاب »

آنچه تاکنون چاپ شده

شماره	نام کتاب	تألیف	ترجمه
۱	زندگانی ناپلئون ۲ جلد	آقای کاظم عمادی	—
۲	جنگ آینده	ح . ج . ولز	آقای ر. نامور
۳	هدف زندگی ۲ جلد	دکتر بوریس ساخالوف	» »
٤	زندگانی نادرشاه پسر شمشیر	آقای نورالله لارودی	—
٥	رادیو بزبان ساده	آقای مهندس رضا	—
٦	ابن سینا و تدبیر منزل	شیخ الرئیس ابوعلی سینا	آقای نجمی زنجانی

آنچه زیر چاپ است

۷	زبدهٔ دیوان حافظ چاپ دوم	جناب آقای فروغی	—
۸	فرهنگ شاهنامه	آقای دکتر رضازاده شفق	—
۹	کرد و پیوستگی نژادی و تاریخی او	آقای رشید یاسمی	—
۱۰	زندگی ناپلئون چاپ دوم با تجدید نظر کلی	آقای کاظم عمادی	—

جایگاه فروش : کتابفروشی ابن سینا

نابغه ادب یا « شاعر عصر ماشین » شیرین ترین کتاب ادبی و انتقادی با مزایای چاپی بزودی نشر میشود .

فهرست مندرجات

قسمت نخست :

عنوان	صفحه
مقدمه مترجم	۱
امتیاز انسان	٤
تفاوت بین افراد بشر	٥
حسن تدبیر برای همه کس لازم است	۸
خانوادهٔ انسان	۱۰
سیاست مرد در اصلاح نفس خود	۱۷
کمك دوست خردمند در اصلاح نفس	۲۰
شرط صحبت	۲٤
راه نصیحت	۲٥
مقایسه در اخلاق	۲۷
تدبیر دخل و خرج	۲۹
سیاست مرد در بارهٔ زن	۳۷
اوصاف بهترین زنها	۳۸
اصول سیاست مرد در بارهٔ زن	۳۹
سیاست مرد در بارهٔ فرزندش	٤۲
آموزش و پرورش مدرسی فرزند	٤٥
واداشتن فرزند بتأمین زندگی خود	٤۹
سیاست مرد در بارهٔ خدمتکاران	٥۲
راه انتخاب خدمتکار	٥۲
چند دستور سودمند	٥٤

قسمت دوم :

عنوان	صفحه
اساس و منظور ازدواج	۵۷
دعوت مردم بازدواج	٦٦
عقد ازدواج	٦٩
استواری رابطهٔ ازدواج	۷۳
قانون طلاق	۷۵
سختی طلاق	۸۸
صاحب اختیار طلاق	۹۰
وحدت زوج و تعدد زوجات	۹۲
خرج زن	۹۷
صیانت زن	۹۸

مقدمه مترجم

بسم الله الرحمن الرحیم

صلاح و سعادت خانواده ها بسته بلیاقت و صلاحیت علمی و عملی سران ومدیران آنها است واین صلاحیت وشایستگی مرهون آشنائی باصول وقواعد تدبیر منزل است.

مادامیکه رئیس خانواده چنانکه شاید و باید وظایف سنگین و تکالیف پر مسئولیت خودرا در بارهٔ حسن ادارهٔ خانه وکسان آن ندانسته دود آتش بدبختی که بدل وروان افراد عائله افتاده از خانواده ایکه درتحت سیاست و تدبیر او اداره میشود بهوا متصاعد میگردد و آزار و زیان آن باطرافیان و محیط چنین خانواده هم میرسد و آنان هم از بدبختی اینان بهره و نصیبی میبرند اگر آتششان بآنها سرایت نکند سوز و گدازشان آنها را دردناك و متألم میسازد.

چگونگی و کم وزیادی آتشی که بحیثیت وآسایش چنین خانواده افتاده وناله وفغان آتش گرفتگان آنرا بلندمینماید بسته بچگونگی وکم وزیادی نادانی و گمراهی است که در محیط چنین خانواده آتش را افروخته و بآن دامن میزند. کسانیکه درخانه‌ای زندگانی مینمایند خواه این خانه کاخ بلند وزیبا و ساکنین آن ثروتمند باشند وخواه کلبهٔ محقری بوده صاحبانش بی بضاعت باشند چون همگی انسانند زندگی وسیع و احتیاجات فراوانی از نواحی مختلفهٔ حیات علمی ، دینی ، اخلاقی ، اجتماعی ، حقوقی ، اقتصادی و غیره دارند باید این منافع و مصالح زندگیشان تأمین گردد تا صبح سعادت حقیقی و همیشگی از افق خانه شان طلوع کرده تاریکی روزگارشان را مبدّل بروشنائی بنماید.

بزرگ و مدیر خانواده باید براه تأمین این مصالح آشنا باشد ودر این راه سیر نماید تا شاهد مقصود را در آغوش گیرد. آری برای تأمین سعادت خانواده نخست شناختن راه نیکبختی و سپس پیمودن آن لازم و ضرور است.

آری این علم و عمل دو عنصری هستندکه خیر و صلاح بشر از آنها تشکیل و ترکیب میابد.

اشخاصیکه میخواهند صلاح وسعادت درخانوادهٔ آنها وجود داشته باشد بدون وجود این دو عنصر نجات بخش نمی توانند بآرزو و مطلوب خود برسند.

علم تدبیرمنزل علمی است که از عنصر نخستین (علم بمصالح حیاتی بشر) آنچه مربوط بمصالح محیط خانواده است گرفته دستوراتی برای خوشبختی عائلهٔ سعادت دوست میدهد.

این دانش در نظر دانشمندان قدیم و جدید اهمیت بسزا دارد و بعضی از آنان کتابهای مستقل دراین باب نوشته اند.

چندسال پیش اداره مجلهٔ المرشد که در عراق عرب منتشر میشد کتاب کوچکی بنام تدبیر منزل و یا سیاست خانوادگی تألیف فیلسوف نامی ایرانی (ابوعلی ابن سینا) چاپ و بمشترکین خود هدیه نمود.

البته معلوم است که این هدیه درنظر آشنایان بمقام علمی این دانشمند برومند خاصه ایرانیان گرانبها و سرورآور بود.

این کتاب گرچه از حیث حجم کوچك ولی از حیث معنی بزرگ میباشد باصول و قواعد مهمی ازعلم تدبیرمنزل محتوی است مقتضی دانستم آنرا بزبان فارسی ترجمه نمایم تا ازهم‌وطنانم کسانیکه زبان عربی را نمیدانند از استفاده از مطالب سودمند آن بی بهره و محروم نمانند.

در ترجمه علاوه از دقت وتوجه بنکات بیانات مؤلف حتی‌الامکان کوشیدم خصوصیات تعبیرش راهم حفظ کنم تا سخنانش برنگ اصلی خود بنظر خوانندگان برسد و نکات و مطالبی هم درحین ترجمه برای مزید فائده کتاب بعنوان حواشی افزودم.

ازخدا خواستارم که این ترجمه را وسیلهٔ خیروصلاح خانوادها سازد.

۱۸/۱۱/۲۰ **محمد نجمی زنجانی**

امتیاز انسان

خداوند قادر متعال خصایصی از نعمتهای خود را به بنی‌نوع انسان اختصاص داده و بسبب آنها مقام آدمی را در میان کائنات از بسیاری از مخلوقاتش برتر و بالاتر نموده است.

دراثر این امتیاز و برتری وجود بشر زیباترین مخلوق شده وطبیعتش کاملترین طبایع گشته و ترکیبش معتدلترین ترکیب شده است.

زندگی آدمی بسبب این مزایا بهترین و پر نعمت ترین زندگانی شده وکوشش وسعیش درصحنهٔ زندگی برطبق عقل و بصیرت که مایهٔ نیرومندی و توانائی است صورت گرفته و با آداب حسنه و اخلاق کریمه و ملکات فاضله که موجب جمال و زیبائی و اسباب زیب و زینت آدمی است موافق و منطبق گردیده است.

خدا بانسان قوهٔ تمیز داده بسبب آن فرق بین خیر وشر و تفاوت بین رشد وگمراهی را برای او معلوم و روشن نموده است ونیز بسبب همین قوه فضل صانع را برمصنوع ومالك را برمملوك وزمامدارسیاست را برکسانیکه در تحت سیاست و تدبیر وی واقعند فهمانده است.

انسان بوسیلهٔ این قوه مجهز و متمکن شده است باینکه آنچه را که بین خالق و مخلوق میباشد بشناسد و آفریدگار و صانع قدیم را برای عالم اثبات بکند(۱)

(۱) باید خوب متوجه شد بنظردقیق‌مؤلف که برای صلاح‌وسعادت خانواده‌ها چه پایه واساس استوار وپایداری قرار میدهد و از چه نقطه شروع میکند. برای اینکه خانواده هائیکه افراد بشر تشکیل میدهند خوب وصالح بوده هم صلاح و سعادت افرادیرا که درآن زندگانی میکنند تأمین بنماید و هم صلاح ونیکبختی‌جامعه‌ایرا که ازاجتماع وانضمام این خانواده‌ها تشکیل میبابد تأمین

تفاوت بین افراد بشر

خداوند پس‌از آنکه بآدمیان این مزایا و فضایل را عطا فرموده بفضل و رأفت خود نعمت دیگری نیز بآنان داده است و آن عبارت از این

ماندهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

بکند باید بشر بمقام وجهت امتیاز خود درمیان کائنات کاملا آشنا گردد تابتواند طرززندگی‌ووسائل زندگانی‌خودرا برطبق‌حیثیت وشرافت انسانیت ومتناسب باخصائص وقواء روحی وجسمی خود قراربدهد وگرنه خسارت وزیان زیادی بخود متوجه نموده هرچه از مقام بلند وارجمند خود در عالم خلقت بیگانه و غافل ودور وبرکنار باشدآن اندازه ازفضائل ونظام وجمال انسانیت و مزایا و حیثیت وشرافت بشریت دور ومحروم شده بالاخره بهمان نسبت ازنیکبختی و آسایش و آرامش خاطر محروم و بی‌نصیب خواهد شد. اینکه میبینیم در بعضی خانواده ها صلاح وسعادت و فضیلت نیست جهتش همین است که اساس تدبیرزندگی آن خانواده‌ها روی اساس درست وبرطبق قواعد واصول صحیح علم تدبیرمنزل که شعبهٔ مهمی ازحکمت عملی‌است نیست وجهت نبودن اساس درست واصول‌صحیح درزندگی این‌خانواده‌ها اینست که مدیران‌این‌خانواده‌ها ندانسته اند و یا نخواسته اند که زندگی خود را متناسب با مقام انسانیت و خصائص ومزایای بشریت بنمایند تا صلاح وفلاح ونجات وسعادت خانواده‌های خود را تأمین کنند وبصلاح و سعادت جامعهٔ انسانی هم کمك شایان بنمایند و برای توجه وعمل باین اصل‌شریف بهترین وسیله راه خداشناسی کامل ومعرفت نعمتها وحکمت وتدبیر او است تا مشی و رفتار انسان برطبق حکمت و نظام خلقت باشد.

پس از توجه باین مطالب و نکات اهمیت و متانت سخن مؤلف کاملا معلوم میگردد. (مترجم)

است همانطورکه مردم را ازحیث املاك و منازل و مراتب متفاوت قرار داده است ازحیث عقول وآراء نیزآنان را متفاوت آفریده است.

برابری‌وتساوی احوال وتزدیکی‌اندازه‌های افراد بشرمنجربفسادشان گشته بالاخره سبب فنا واضمحلال وانقراضشان میگردد.

خردمندان میدانندکه اگرهمهٔ مردم پادشاه وشهریار بشوند همگی ازبین میروند واگر همه‌شان رنجبر وکارگر و تابع ورعیت بشوند پادشاه و سلطانی دربین نباشد جملگی فانی وهلاك میشوند همچنانکه اگر همگی در توانگری و ثروت مساوی و برابر با یکدیگر بشوند کسی برای کسی‌کار نمیکند وعطا ومعاونت دوست ازدوست منقطع میگردد واگر همگی فقیر ومحتاج باشند از فقر وفلاکت وبیچارگی جان میسپارند پس تفاوت احوال واختلاف اقدار سبب بقاء زندگی آدمیزادگان میباشد.

مرد بیخرد و بی‌ادبی‌که بکوچکترین سببی بهره ونصیب خود را از دنیا بدست میآورد چون درحال خردمند محروم ازمال ودرکدورتهای مرد با بصیرت که در تحولات و تطوّرات روزگار بحزم و بینائی قدم برمیدارد تأمل میکندگمان و بلکه یقین میکند باینکه مالی‌که او بدست آورده است ازعقل وخردکه فاقدآنست بیشتر مورد اعتبار است وصاحب ادب وقتی‌که حال مالدار وثروتمند نادان را تحت مطالعه و نظر قرارمیدهد بطور یقین خود را برتر وبالاتر ازاو میداند دست‌ورز وصنعتگری‌که از صنعت و دست ورزی خودباندازهٔ ضرورت وسدّ رمق عاید ودرآمدی بدست میآورد وضع وحال پادشاه ودولتمند بزرگ را آرزو نمیکند وبحال آنها غبطه نمیخورد.

اختلاف احوال وتفاوت اقدار همه‌کس‌را بعالم خود قانع نموده‌است

همهٔ اینها ازدلائل حکمت وتدبیر وشواهد لطف رحمت و رأفت‌آفریدگار جهان است(١)

(١) اختلاف احوال و اقدار افراد بشر اجمالا معلوم و مسلم است که دارای حکمت ومصلحت است ولکن حکم ومصالح آن مربوط باسرارقضا وقدربوده ومسئلهٔ قضا وقدرهم یکی از مشکلترین مسائل علم وحکمت است بطوریکه حتی عقول وافکار فلاسفه هم کاملا بفهم وادراك اسرارآن رسا نیست وهریك ازآنها در اثرکاوش و کوشش فراوان آنچه راکه فهمیده گفته است وآنقدر که فهمیده‌اند بآسانی برای‌آنها دست نداده بلکه در نتیجهٔ بحث و جستجو و تفکر زیادی حاصل شده است پس‌آنچه این فیلسوف بزرگ اینجا درحکمت ومصلحت اختلاف احوال و اقدار افراد بشر گفته است گرچه واضح وآشکار بوده غیر قابل تردید است ولی ممکن است (چنانکه زیاد دیده شده است) برخی بدون توجه بغموض مسئله و بدون تأمل در سخن گوینده فوری و بی تأمل باعتراض بپردازند. این قبیل اشخاص باید بنکات زیر که رعایت آن همیشه لازم است متوجه و متذکر باشند اولا بطورکلی دربرابر حقایق علم وحکمت انسان باید خیلی دقیق و عمیق بوده باکمال تدقیق وتحقیق قدم برداشته پس از دقت و بازرسی شایان اظهار رأی و عقیده بنماید خواه این عقیده مثبت باشد وخواه منفی زیرا تصور ویاتکذیب بلاتصور وبدون تحقیق هر دو بیمورد است این اصل و قاعده مخصوصاً باید درمورد مسائل مشکل‌و غامض بیشترمورد توجه‌ومراعات گردد وثانیاً باید متوجه بشوند باینکه فلاسفه هم مانند دیگران بشرند وآنچه راکه در مسائل غامضه علم وحکمت گفته‌اند باندازهٔ فهم خود سخن رانده‌اند اگرکسی فرضاً هم ازروی تحقیق بعضی از سخن آنها را رد بکند و یا اعتراض بنماید این رد واعتراض باصل مسئله متوجه نمیشود پس ازتوجه باین نکات مهم البته کسانیکه دراولین وهله سخن این فیلسوف دربیان اختلاف احوال واقدار افراد بشربنظرشان تمام نمی‌آید متوجه میباشند باینکه مسئله مسئلهٔ مشکلی است و این فیلسوف هم فهم خود راگفته است دیگرمانند بعضیها که معنی قضاوقدر وسخنان دین و علما را در اینموضوع درست نفهمیده‌اند و زبان باعتراض جاهلانه میکشانند رفتار نکنند واین ظلم را برخویشتن روا ندانند. (مترجم)

حسن تدبیر برای همه کس لازم است

درتدبیر امور وحسن سیاست سزاوارترین مردم بتفکر پادشاهان و شهریارانند که خدا آنان را زمامدار امور بندگان خود نموده و برای تنظیم بلاد دارای تسلط وقدرت کرده است .

بعد از طبقهٔ پادشاهان و شهریاران کسان دیگر از سیاستمداران و فرمانداران که قیادت امم وتدبیر شهرها بعهدهٔ آنان گذارده شده است بحسن تدبیر وسیاست سزاوارترند هریك ازاینان که مقامش بمقام سلطنت نزدیکتر است ازدیگران که دارای آن مقام ومنزلت نیستند باین کار و کردار سزاوارتر است همینطور بترتیب این اولویت در میان آنها برحسب اختلاف درجات و مراتب محفوظ بوده هرکه نزدیکتر کارش نیز مهمتر و خودش هم بحسن سیاست شایسته تر .

بعد از پادشاهان و فرمانداران کسانیکه صاحبان نعمتند و کسانی که جمعی ازخاصان وخدمتکارانشان درتحت نظر ونفوذشان اداره میشوند باید حسن تدبیر رادرکاربیشتر مراعات کنند سپس ارباب منازل وسران خانواده‌ها که کسان وفرزندان آنان درتحت نظر وتدبیرشان اداره میشوند باید در امور خود دارای حسن تدبیر باشند .

و بعبارت دیگر حسن تدبیر درامور برای همه لازم و ضرور و این اشخاص و مراتبیکه گفتیم هرکدام که مقام و منزلتش مهمتر باین کار هم سزاوارتر. پس این تکلیف ووظیفه بهمه کس متوجه میباشد جزاینکه مراتب حسن تدبیر تابع مراتب وظیفه داران است .

علت اینکه این وظیفه بهمه کس متوجه است اینست همه کس نسبت بکسانیکه درتحت نظر و تدبیر او زندگانی میکنند حکومت و سیاستی دارد حقیرترین وکوچکترین مردم بسیاست خوب وتدبیرنیکو وتفکر زیاد وتأدیب و تعدیل و براه راست درآوردن و ازراه نادرست باز داشتن وبالجمله بهمهٔ آنچه که شهریاراحتیاج دارد محتاج ونیازمند است بلکه اگر کسی بگوید که این شخص کوچك بیشتر به بیداری و معرفت و تجسس وکنجکاوی و جستجو و آگاهی و بهره برداری از بیم و ترس و دوری گزیدن از میل و اطمینان و احتراز از خرابی و مختل شدن کارمحتاج است سخن درست و مطابق واقعی گفته است زیرا کسی که تنها است کمك و معاون و اخوان و انصاری برای او نیست از کسی که از کفایت وزیران و احوال انصار استفاده میکند بحسن عنایت محتاجتر و بشدت احتراز سزاوار تر است و شخصی که فقیر ومحتاج است برفاهیت وآسایش زندگانی وترمیم حال واصلاح وضع بیشتر از ثروتمند و توانگری که برای امورش مدیر و مدبری هست نیازمند است چه ممکن است برای تمثیل و مانند کردن ما حال رعیت را بحال پادشاهان انکار و یا ازنظر عیب‌جوئی موازنه و مقایسهٔ ما را بین آن دوحال ووضع تنقید نمایند ولی سخن ما درتزدیکی مردم است بیکدیگر در اخلاق و عادات وخلقت و احتیاجات نفس و دواعی تن و منزل و مسکن نه در مراتب و اقدار ومقامات بلکه مردم را در این جهات چنانکه گفتیم متفاوت میدانیم .

خانوادهٔ انسان

همه کس از پادشاه و رعیت نیازمند است بغذا و خوراکی که مایهٔ حیات است ونیز بتهیه وآماده ساختن زیادی خوراك وروزی برای روز حاجت که برایش پیش میآید محتاج است .

راه بدست آوردن غذا وخوراك برای انسان مانند راه بدست آوردن قوت حیوانات نیست که هنگام هیجان و تحریك گرسنگی وتشنگی جنبش کرده چراگاه و آب بجوید و پس از رفع گرسنگی و تشنگی بجای خود برگشته و استراحت کرده باز در هنگام جوع و عطش بسوی چراگاه وآب بشتابد دیگر مفید نباشد باینکه زیادی غذا وقوتش را برای وقت دیگروروز حاجت جمع و ذخیره و آماده بکند و بحفظ و نگهداری آن بپردازد این حیوانات نمیدانندکه بغذا وآب باز محتاج میشوند . (۱)

(۱) همهٔ حیوانات اینطور نیستند بلکه بعضی ازآنها در جمع آوری و ذخیره کردن غذا برای روز حاجت چنان جدیت و فعالیت و شعور و فراست بخرج میدهند که مایهٔ شگفتی آدمیان است کارو کوشش ونظام ودقت کاریهای مورچه و زنبور عسل برای همه کس معلوم و محسوس است البته زندگانی این قسم از حیوانات که برای همه محسوس است چیز دقیق و نهانی نیست که مردمان متوسط ازآن غفلت کنند تاچه رسد بدانشمندی مانند مؤلف بلکه چون نظر این دانشمند و فیلسوف بزرگ بیان احتیاج انسان بتشکیل خانواده بوده و بیشتر روی سخنش بالطبع باکسانی است که غالباً از شئون زندگی واهمیت آن غافل میباشند نه با دانشمندان وعلما که خود این سخنان را میدانند . لذا برای بیداری وبینائی اینگونه مردمان نظرآنان را بسوی زندگانی حیواناتی که اندیشه وتهیه برای آن درآنهانیست جلب نموده بابیان خوبی که جنبش رگ غیرت هم درمیان باشد آنان را بلزوم واهمیت تشکیل خانواده متوجه مینماید . برای بعضی از جوانان بی فکر وبی بصیرت که درزمان ماهم وجودشان فراوان است امثال این بیان لازم وضرور وخیلی خوب ومناسب است . (مترجم)

بلکه انسان نیازمند است بمکان و جائی که آنچه را بدست آورده است در آنجا جمع و ذخیره کرده برای هنگام حاجتش نگه بدارد .

پس بنا براین انسان محتاج است باینکه برای خود منزل ومسکنی اتخاذ کند . (۱)

چون آدمیزاد منزل وخانه‌ای ساخت ودرآنجا برای هنگام حاجتش ذخیره‌ای اندوخت محتاج میشود بکسی که اندوخته‌اش را ازدستبرد دیگران که میخواهند آنرا از وی بربایند حفظ و حراست بنماید اگر خود همین شخص که از زیادی قوت و غذایش برای وقت احتیاجش ذخیره و آماده نموده‌است درخانهٔ خود نشسته بنگهبانی اندوخته‌اش مشغول شود دراینصورت همین اندوخته را ناچار باید بخورد پس بیش از آنکه براوبیفزاید بخوردن

(۱) لزوم وضرورت خانه برای آدمی چندین علت وجهت دارد یکی آنکه این دانشمند معظم ذکر کرده است و این از جنبه و ناحیهٔ اقتصادی است و علت دوم اینست که آدمی برای حفظ خود ازخطر وآسیب سرد و گرم وباد وباران ومهاجمات محتاج است بساختن خانه این سبب که جنبهٔ حیاتی مهمی دارد بیشتر از علت وسبب اولی آدمی را بساختن خانه نیازمند میکند وبالطبع فعالیت این عامل برای ساختن خانه درزندگی بشر سبقت و پیشی بعامل اولی داشته است و علت سوم آنست برای اینکه افراد بشر بیکدیگر مرتبط و نزدیك باشند و برای زندگانی اجتماعی بیکدیگر معاونت و معاضدت بنمایند و برای تربیت فکری و اخلاقی و اصلاح و تکمیل سایر شئون انسانیت با یکدیگر پیوسته آمیزش و معاشرت وگفتگو و کمك بنمایند بالطبیعه بساختن خانه و تشکیل خانواده‌ها در نزدیکی وهمسایگی یکدیگر وبالاخره تشکیل شهرها و کشور محتاج میباشند این علت وجهت جنبهٔ اجتماعی وتربیتی و کمالی دارد . خلاصه انسان برای حیات و بقاء و رشد و صلاح وسعادت و کمال خود محتاج ساختن خانه وتشکیل خانواده میباشد . (مترجم)

آن شروع و تمامش میکند اگر دوباره بکسب واندوختن ذخیره و بسیجی بپردازد باز وضع و حالش مانند حال و وضع نخستین بوده بالاخره ناچار حالش مثل حال حیوانات گشته بروزگار و زندگی آنها دچار خواهد شد پس محتاج است باینکه برای حفظ و حراست اندوخته اش کسی دیگر را جانشین خود بنماید و برای جانشین هم باید کسی باشد که مورد اطمینان نفس وآرامش خاطر باشد برای اینکارکسی شایسته وسزاوار نیست مگرزن که خدا او را برای مرد جفت و مورد اطمینان و سکونت نفس قرار داده است بدین جهت مرد ناگزیر میشود باینکه زن بگیرد. (۱)

(۱) برای لزوم وضرورت ازدواج هم علاوه ازلزوم جنبهٔ اقتصادی یعنی حفظ وحراست اندوخته وذخیره علل و عوامل دیگری هم هست از آنجمله غریزهٔ جنسی است که دراثرآن مرد بالطبیعه میل واقدام بازدواج نموده بدین وسیله تولید مثل کرده‌سبب بقاء نسل وادامهٔ حیات نوع خود میگردد این غریزه مرد را طبعاً تحریك‌نموده مرد بامر زناشوئی اقدام میکند ونتیجه هم ازآن حاصل میگردد خواه مرد وزن که اقدام بازدواج مینمایند باین غریزه ونتیجه متوجه بشوند وخواه اصلا ازآن بیخبرباشند وگمان میکنم برای اقدام مرد بازدواج فعالیت این عامل دوم (غریزهٔ جنسی) بیشتر باشد زیرا خانواده هائی هستند که در فکر ذخیره و اندوخته نیستند و یا نمیتوانند چیزی برای‌آینده و روز حاجت باقی گذارده اندوخته داشته‌باشند بلکه هرچه بدست میآورند همان‌روز صرف وخرج میشود خواه این روزگارووضعیت برای بعضی از مردم درحال زندگانی وحشیت ویابدویت باشد وخواه درزندگانی متمدن چنانکه همه کس میداند که روزگار قسمتی از مردم (در زندگانی متمدن) نیز چنین است. همچنین اغلب جوانان که اقدام بزناشوئی مینمایند اگرچه بعداً بفکر اندوخته وذخیره میافتند ولی در ابتداءکار ابداً چنین فکر وقصدی ندارند بلکه دراثر غریزهٔ جنسی اقدام بازدواج مینمایند پس در چنین صورت عامل و داعی بر ازدواج فقط همان غریزهٔ جنسی است بنا براین باید اساس و پایهٔ ازدواج را

پس از ازدواج فرزندانی بوجود میآید و شمارهٔ افراد خانواده زیاد میشود در اینصورت ناچار نیازمندی بخوراك وغذا وتهیه برای روز حاجت از زیادی غذا و قوت بیش از پیش میگردد و در اثر توسعه دائرهٔ زندگانی احتیاج بکمك وکارگذار وخدمتکار پیش میآید پس آن‌مردیکه این‌خانواده را تشکیل داده است مدیر و سائس افراد وکسان این خانواده گشته و آنها نیز رعیت وپیرو اراده و ادارهٔ وی میشوند. (۱)

ماندهٔ‌پاورقی ازصفحهٔ‌پیش

روی حسن استفاده از غریزهٔ جنسی و تولید مثل و ابقاء نسل قرارداد وآنرا برطبق نظام وحکمت خلقت که دستور آنرا دین حق میدهد انجام داد منافع اقتصادی گرچه یکی ازفوائد واثرات تشکیل خانه است ولکن نبایدآنرا پایه و اساس قرار داد زیرا این فکر و نظر طبعاً بیش از حد لزوم آدمیرا مادی مینماید و فضائل انسانیت و مزایای بشریت را که بیشترآنها در سایهٔ معنویات تأمین میگردد بکلی و یاتا اندازه‌ای ازنظر چنین خانواده دور مینماید خلاصه درازدواج که مصالح وفوائد حیاتی واخلاقی و اجتماعی واقتصادی دارد نباید اساس‌آنرا روی تنها مصلحت اقتصادی قرار داد. (مترجم)

(۱) احتیاجات مادی خانه و خانواده منحصر بغذا و خوراك نیست بلکه برای همه کس معلوم ومحسوس‌است که‌حوائج ولوازم دیگری برای خانه وخانواده لازم‌است چون نظراین فیلسوف اشاره بلزوم وضرورت ساختن خانه وتشکیل خانواده میباشد لذا بیکی از حوائج مادی خانه و خانواده که برای همه کس حتی مردمان نادان‌هم معلوم ومحسوس‌است لزوم وضرورت‌آنرا اثبات میکند منظورش ذکرتمامی حوائج خانه وخانواده نیست. پس وقتی که معلوم گردید منظور ومقصود این دانشمند بزرگ در اینجا اشاره ببعضی از علل و جهات لزوم تشکیل خانواده میباشد نه بهمهٔ‌آن پس بنابراین نباید ازسخن وی چنین استفاده واستنباط کرد که پایه واساس تشکیل خانواده را روی منافع و جهات مادی قرار میدهد چنانکه بسیاری ازخانواده‌های نادان ومردمان مادی صرف

در این احتیاجات پادشاه و رعیت و خادم و مخدوم همه بایکدیگر مساوی و برابرند زیرا که انسان در زندگی دنیا نیازمنداست بغذا وخوراك که مایهٔ حیات وی است و بخانه و منزلی که اندوخته‌اش درآنجا از دستبرد یغما گران ودزدان مصون بماند و خودش هنگام برگشتن ازکار و کوشش در آنجا سکونت و استراحت بکند و نیازمند است بزنی که خانه و دارائیش را حفظ و حراست نماید. (۱)

ماندهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

چنین میباشند ابداً در تشکیل خانواده نظری بانجام وظیفهٔ مقدس و فضائل و شئونات انسانیت ندارند.

برای اینکه کاملا معلوم گردد منظور این دانشمند تشکیل چنین خانواده نیست یعنی نمیخواهد پایهٔ بنیان خانه و خانواده را فقط مصالح و منافع مادی قراربدهد سخنان وی درهمین رساله برای اصلاح نفس وتربیت دینی واخلاقی فرزندان وغیره گواه صادق ودلیل روشن است. (مترجم)

---

(۱) مرد بوجود زن از چندین جهت احتیاج دارد جهت و جنبه استفادهٔ مادی از وجودش که نگهداری خانه واندوختهٔ مرد باشد در مقابل جهات حیاتی که تولیدمثل وابقاءنسل باشدوجهات دینی واجتماعی واخلاقی وتربیتی چندان مهم نیست بلکه فواید معنوی ازدواج که عبارت ازاینها باشد بمراتب مهمتر ولازمتر از جنبهٔ حفظ خانه واندوخته میباشد گاهی برای وجود خدمتگزار امین وباکفایت حفظ خانه و اندوخته مرداصلا محتاج بوجود زن وحفظ وحراست وی نمیباشد زیرا دراینصورت این حاجت مرتفع میشود لکن همیشه مرد برای توالد وتناسل بوجود زن نیازمنداست وبرای تربیت صحیح وکامل فرزندان بشر ازوجوداو بی نیاز نمیگردد زیرا که تربیت درست وکامل فرزندان باید در سایهٔ مهر و تدبیر پدر ودرآغوش محبت وعلاقهٔ مادر صورت گیرد طبعاً دایه وخدمتگزار ومربیان دیگر مهروعلاقهٔ پدر ومادر را نخواهند داشت وهمچنین برای حفظ پاکی اخلاق وصحت وسلامتی مرد وجود همسر شایسته ونیکوهمواره لازم و ضروراست. خود این فیلسوف بزرگ هم در همین رساله درمقام بیان فواید

و همچنین آدمی محتاج است بوجود فرزندی که در هنگام عجزو ناتوانیش برای رفع حوائج ولوازم او بکوشد ودرزمان پیریش بانجام مقاصد و مصالحش قیام کند و پس از مرگش نامش را زنده کند و نیز محتاج است بخدمتگذاران وکارگذارانی که باو کمك و معاونت بنمایند و بار سنگینش را سبك سازند.

وقتیکه همهٔ این اشخاص جمع شدند مرد تشکیل دهندهٔ خانواده مدیر وسائس آنها گشته وآنها درتحت سیاست وتدبیر او زندگانی مینمایند مرد که صاحب زن و فرزند و خدمتگذار و توابع است در خانواده ای که این اشخاص افراد و جمعیت آنرا تشکیل داده است رئیس و مدیر میباشد وظایف و تکالیفی باو متوجه است بر او لازم است آنچه را که بر گردن و عهدهٔ او است از حفظ و نگهداری افراد خانوادهٔ خود و تحمل مخارج آنان عمل نماید و در تأمین احتیاجاتشان توسعهٔ قائل بشود و سیاست و تدبیر امور آنها را نیکو وپسندیده بکند وبوسیلهٔ ترغیب بکارها و چیزهای نیکو و ترسانیدن ازکارهای ناروا و چیزهای بدآنها را در راه زندگانی زیبا و صالح سیر دهد و بسبب وعده بجزای خوب بکردار خوب و بیم دادن بکیفر بد در مقابل رفتار بد و بوسیلهٔ بخشش و حرمان آنان را بانجام وظیفه و تکلیفشان وادار نماید. این مطالب را که در بیان لزوم سیاست خانوادگی و حکمت منزلی گفتیم سخنان مجمل و محتاج بتفسیر است در ابواب این رساله آنها را تفسیر میکنیم پیش از آنکه بتفسیر این سخنان

ماندهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

و منافع وجود همسر شایسته ببعضی از مصالح و منافع معنوی وجود زن در خانواده اشاره میکند پس نظرش در اینجا اشاره ببعضی از جهات احتیاج بوجود زن میباشد البته قابل انکارنیست که یکی ازفوائد ومنافع زن دربسیاری ازخانواده‌ها ویا بیشتر آنها نگهداری خانه واندوختهٔ مرد میباشد. (مترجم)

بپردازیم بابی را در موضوع سیاست مرد در بارهٔ اصلاح نفس خود مقدم میداریم زیرا که نظم و ترتیب ابواب رساله بسبب تقدیم این باب بهتر و زیباتر و سود آن بیشتر و فزونتر میگردد. (۱)

(۱) برای اینکه مردیکه تشکیل‌خانواده داده میخواهد افرادآنرا چنان اداره کند که‌آنان رابوظیفهٔ خودآشنا وعامل نموده‌بدین‌وسیله صالح‌وسعادتمندشان بنماید باید پیش از آنکه باصلاح آنها بپردازد خودش از حیث علم و معرفت و اخلاق و کردار شایسته وسزاوار این‌کار و مقام بلند و ارجمندباشد آری رئیس خانواده و مدیر و مصلح و مربی افراد آن شدن کار آسان و سرسری نیست بلکه کاری است دشوار و مهم ومقامی است بلند و ارجمند رشد و صلاح و نجابت و شرافت و نیکبختی و رستگاری افراد خانواده بسته بصلاح علمی وعملی آن مردی است که بزرگ خانواده میباشد یکی ازعوامل واسباب مهم بدبختی بسیاری ازخانواده‌ها نبودن این صلاحیت دربزرگ آنها است مردیکه خود را برای بزرگی و اداره خانواده ای حاضر مینماید باید واجد این صلاحیت وشایستگی‌باشد.

پس این موضوع مهم شایستهٔ‌آنست که درطلیعه ابواب تدبیرمنزل ویا حکمت منزلی قرارگیرد. (مترجم)

سیاست مرد در اصلاح نفس خود

نخستین سیاستی که سزاوار است انسان بآن آغاز کند همانا سیاست نفس خود اوست یعنی اول باید در اصلاح نفس خود بکوشد سیاست و تدبیرش را در آن کار و کوشش بکار برده خویشتن را صالح و نیکو بنماید چه نفس آدمی نزدیکترین و محترمترین چیزها است نسبت باو و در میان آنها بعنایت و توجه سزاوار تر و شایسته تر است و اگر کسی از عهدهٔ سیاست نیکو و اصلاح نفس خود بر آید آنگاه با کی بر وی نیست که به‌بالاتر ازآن اقدام کرده بسیاست بلاد بپردازد یعنی کسیکه خودرا اصلاح کرده باشد میتواند بسیاست وتدبیر امورمردم اشتغال ورزد.(۱)

ازجمله چیزهائیکه در درجهٔ اول وجود آن برای کسیکه میخواهد بسیاست نفس خود بپردازد لازم است اینست باید بداند که برای او عقلی هست که عهده‌دار سیاست کشور وجودش میباشد و نفسی هست که زیاد آدمی را بکارهای زشت و پست و ناروا امر میکند واین نفس درطبیعت و اصل خلقتش دارای معایب و بدیهای زیاد میباشد این نفس باید در تحت

(۱) همانطور شخصی که خود را اصلاح کرده باشد میتواند یعنی شایسته و سزاوار است که باصلاح دیگران بپردازد همچنین اگر باصلاح خود موفق نشده باشد نمیتواند باصلاح دیگران بپردازد. (مترجم)

سیاست و تدبیر عقل اداره شود. (۱)

و نیز باید بداند هر کسیکه میخواهد فاسدی را اصلاح کند بر او لازم است که آن فاسد را کاملا و بطور استقصاء بشناسد تا چیزی از آن بر وی پوشیده و نهان نماند اصلاح کننده اگر واجد این شرط نباشد کار و اصلاحش مورد اطمینان و وثوق نیست همچنین کسی که میخواهد بنفس

(۱) ممکن است بعضیها بمقصود از این تفسیر که در کلمات و سخنان بعضی از بزرگان علما و اخلاق دیده میشود ملتفت نشده زبان باعتراض بگشایند لذا میگوئیم آنچه که در کلمات وسخنان اینان هست که نفس آدمی در اصل طبیعت و خلقت دارای عیوب و صفات نکوهیده میباشد مقصود یکی از این دومعنی است اول آنکه اگر انسان نفس خود را بحال خود واگذارد ودر تحت تدبیر و سیاست عقل اداره اش ننماید آدمی را بسوی بدیها وزشت کاریها میکشاند و دلیل این سخن هم واضح وروشن است زیرا که نفسی که تابع وفرمانبردار عقل نباشد تابع شهوت و غضب و هوی وهوس میباشد و اثرات شهوت رانی وهوی پرستی و هوسبازی در جمع آوری صفات نکوهیده و اخلاق رذیله و بدبخت کردن انسان برای همه کس معلوم ومحسوس است.

معنی دوم اینست که پیش از آنکه نفس آدمی در تحت سیاست و تدبیر عقل اصلاح وتهذیب‌شده دارای فضائل وملکات نیکووصفات پسندیده گردد دارای اضداد آنهاست یعنی قبل از اینکه مثلا صفت صبر واستقامت را درتحت تدبیر و فرمان عقل کسب بکند بی صبر ناپایدار و متلون میباشد و قبل از اینکه صفت شجاعت را کسب کند جبون میباشد همچنین در صفات دیگر نفس.

دلیل این سخن هم روشن است زیرا فضائل و اخلاق پسندیدهٔ انسان که بعداً درتحت حکومت عقل کسب میشود پیش از کسب آنها در نفس نمیباشد واگر آنها بسعی و مجاهده کسب نشود بلکه نفس خود رو وخودسر بارآمده آدمی بالگام گسیختگی زندگانی کند بدیهی است که پرازمعایب و صفات نکوهیده خواهد بود. (مترجم)

خود سیاست بکند و فاسد آنرا اصلاح نماید جایز نیست بر این کارشروع بنماید مگر پس از آنکه همهٔ عیوب و صفات بد نفس را کاملا بشناسد والا اگر از بعضی از آنها غفلت بکند مانند زخمی میباشد که ظاهر آنرا اصلاح و ملتئم بنماید ولی در باطن چرك باقی بماند این چرك پس از مدتی قوت یافته دوباره زخم‌را تجدید میکند چرکی که درزیر پوست پوشیده بود نیرو گرفته پوست را پاره کرده در جلو چشم نمایان میگردد.

همچنین اگر از عیبی ازمعایب نفس غفلت شده در مقام اصلاح و تزکیهٔ نفس ازالهٔ آن حاصل نگردد وقتیکه موقع مناسبی بدست آورد مانند آن چرك سر در میآورد.

کمك دوست خردمند در اصلاح نفس

معرفت و شناخت انسان در بارهٔ نفس خود مورد اطمینان نیست زیرا که آدمی در باب معرفت عیبهای خود زیرك و تیز هوش نیست بلکه کندی و غباوت بخرج میدهد بعلاوه درمقام محاسبه نفس در حساب نیك و بد صفات و اخلاق خود درست دقت نمیکند بلکه زیاد مسامحه وسهل انگاری مینماید و زیاده بر این دو علت ، جهت دیگری هم هست که آنهم در این سلب اطمینان کمك میکند و آن اینست عقل انسان در مقام نظر باحوال خود از مداخله و آمیزش هوای نفس سالم و ایمن نمیباشد .

پس نظر بعلل وجهات مذکور هر کسی که میخواهد نیك و بد صفات و احوال خود را بشناسد در بحث از احوال و جستجو از معایب خود بکمك برادر دوست خردمندی که چون آئینه خوبیش را خوب و بدی و زشتیش را بد و زشت نشان بدهد محتاج و نیازمند است (۱)

(۱) برای این دوست یك شرط دیگری هم هست که آنهم خیلی لازم و مهم است و آن عبارت‌است از دیانت زیرا کسی که خردمند ومتدین باشد بعقل و ادراك و احساسات و دوستی و امانت اوبیشتر میتوان اطمینان کرد تاکسیکه بی‌دین باشد کسیکه بخدا و روز جزا معتقدنباشد وبرای نیك وبد وخیر وشر علاوه از اثرات آن در پیشرفت امور دنیوی اثر دیگر ومسئولیتی قائل‌نشود چگونه میتوان گفت که شهوت و غضب و هوی وهوس در عقل و ادراك و احساسات او مداخله نمیکند دین و دانش و خرد و تجربه جملگی متفقند بر اینکه بی‌دینی منشاء فساد اخلاق و تیره گی عقل و فکر و نیرو گرفتن شهوت

سزاوار ترین و نیازمند ترین مردم برای اتخاذ این گونه دوست همانا کسانی هستند که دارای مقام ریاست میباشند زیرا که از اینان جز اشخاص کمی که خردمند و نیکو سیرت و نیکوکار میباشند بقیه درمعرض لغزش و سقوط هستند از جمله چیزهائیکه مصیبت و بلای آنها را بزرگ کرده نمیگذارد آنان بعیوب خودشان متوجه بشوند یکی اینست که بجهت هیبت و ترس از ایشان در روبرویشان معایب و نواقصشان گفته نمیشود و بکار های بد و ناروا سرزنش و مذمت نمیشوند و در مقام بروز و ظهور عیبی غیظ و غضب و نکوهش نمیبینند زمانیکه این چیز ها را ندیده و نشنیده اند گمان میکنند که معایب و نواقصی در وجود ایشان نیست بلکه صفات نکوهیده و کارهای زشت وناروا به پیرامونشان نمیگردد .

بقیهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

نفس میباشد پس‌بسخن شخص بی‌دین در باب‌اصلاح نفس وتهذیب اخلاق‌مانند بیشتر ابواب زندگی مادی ومعنوی نمیتوان اطمینان کرد پس یکی ازشرایط دوست سودمند دیانت اوست و نکته‌ای‌را هم لازم است دراینجا متذکر شوم و آن اینست دینی که وجود آن دوست‌را شایسته وسزاوارآن میکند که عقل و سخن او مورد اطمینان و تقدیس باشد دین حق‌است نه دین باطل وخرافی زیراکه دین باطل و خرافی عقل ، ادراکات واحساسات بشررا خراب وگمراه و تاریك مینماید پس منظور از شرط تدین در دوست تدین بدین حق است شخص متدین باید پیرو دین حق بوده و در آن هم بصیرت داشته باشد یعنی آشنا بحقایق دین‌حق باشد .

پیروان دین مقدس اسلام که بحقایق آن عارف و عامل میباشند برای اینمقام مانند سایر مقامات عالم انسانیت شایسته و سزاوار میباشند این دانشمند این شرطرا بوضوح آن‌واگذاشته چنانکه‌ازطرزبیانش که‌درهمین باب راجع‌بشرط صحبت میگوید پیداست . (مترجم)

و لـکن کسانی کـه در پایه و مقام آنان نیستند اگر یکی از آنها بخواهد معایب خودش را پوشیده و پنهان نگاه بدارد آنرا باو یادآوری و متوجه میکنند و بد ترین صفات و کار هایش را باندازهٔ توانائی باو تذکر میدهند اینان با مردم مخالطه و آمیزش دارند و مخالطه و آمیزش تولید مجادله و مدافعه مینماید و این از جمله اسباب دشمنی است و دشمنی باعث میشود کـه دشمنان بیکدیگر بد گوئی بکنند و چیزهای سنگین را بهمدیگر نسبت بدهند و در اینصورت هیچکدام از طرفین راضی نمیشود که حقایق عیب های دشمن خودش را بگوید بلکه بتهمت و دروغ هم‌دست میزند پس اینان بسبب دشمنانشان بعیوب خودشان آشنا شده بدینوسیله از کسب اطلاع بوسیلهٔ همنشینان و گماشتن تفتیش کنندگان بی نیاز میباشند زیرا که اینان بسبب بد گوئی و عیب‌جوئی دشمنان آنچه را میخواستند از وجود دوستان استفاده کرده در اثر متنبه کردن و نصیحت گفتن آنان بمعایب وصفات بد وکارهای زشت وناروای خود متوجه بشوند متنبه میشوند اما کسانیکه با مردم با مسالمت رفتار کرده با کسی دشمنی و منازعه ندارند وبا کسی مشورت هم‌نمیکنند باوجوداین باز ازخویشاوندان و دوستان و همنشینان و معاشرین اشخـاص پیدا میشوند که آنان را بعیبهایشان متنبه و متوجه بنمایند ونصیحت و اندرز بگویند.(۱)

(۱) منظور این دانشمند چنانکه ازبیان خودش هم معلوم است این است که سران مردم که سلطه و ریاست بمردم دارند براین جهت که ذکر نموده است بوجود دوست خردمند ناصح محتاجترند تا مردمان دیگر که در اثر منازعه و جنگ و جدال و غیره ازدوستان ودشمنان وخویشاوندان وهمنشینان عیوب

از جمله چیزهائیکه فساد و خرابی حال ارباب سلطه و ریاست را زیاد و شدید میکند اینست که اینان گرفتار همنشینان بدی میباشند این هم نشینان بد که عهد صحبت را شکسته و در معاشرت نیك و بد را بیکدیگر آمیخته اند و راستی را ترك گفته و متنبه کردن بعیوب را کنار گذاشته اند اگر بهمین اکتفا نموده ستایش دروغ و فریب دادن ومشتبه نمودن بچیزهای باطل را کنار بگذارند و بدین وسیله خطا و لغزش را زیاد ننمایند هرآینه گناه وتباه کاریشان کمتر میگردد گرچه بازدر مصاحبت و هم‌نشینی ازبدی بری نمیباشند شاید بعضی ازاینها درمقام بیان‌عذروتخفیف جرم و گناه عذری تراشیده بگویدجهت اینکه ما نصیحت و متنبه نمودن بعیوب‌راترك‌میکنیم اینست میترسیم‌تکبر ورزیده قبول نکنند و از ما نفرت نمایند پس دراین صورت با خطا و لغزششان با آنها معاشرت داشته باشیم برای آنها و برای ما بهتراست از اینکه میانه را بهم بزنیم و یکدیگر را از دست بدهیم.

هم نشین اگر رفیق با حزم باشد این جواب را میگوید ولی اگر خشن و نادان و بی پروا باشد در جواب میگوید ما میترسیم که مقام و منزلت خودرا از دست بدهیم و رشتهٔ آمیزش ما گسیخته گردد.

جواب اینان درست و مقبول نیست باید باینان گفت

ماندهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

خود را میشنوند پس‌دراحتیاج ونیازمندی بوجود دوست‌خردمند ناصح‌همگی شریکند مقصودم توضیح این مطلب است که وجود دشمن و بد گوئی و عیب جوئی و یا نصیحت و اندرزی که گـاهی از خویشاوندان و یا دوستان و یا همنشینان و غیره دیده میشود آدمی را بی نیاز از وجود دوست نمیکند و مقصود این فیلسوف‌هم بی‌نیازی نیست. (مترجم)

شرط صحبت

وقتی که شما پایهٔ صحبت و مجالست خودتان را روی اساس دین و مروّت گذاشتید آنگاه وظیفه و تکلیف شما اینست که مقتضای دین ومروّت را مراعات کرده دررفتار و کردارتان برطبق میزان دین ومروت رفتاربکنید چیزی را که بر خلاف دین و مروت باشد مورد اعتنا قرار ندهید .

پس در صورتیکه پایهٔ صحبت ومجالست خودتان را روی اساس‌دین و مروت قرار داده با روشنائی آنهامشی نمودیدگمراه نمیشوید وبمحذوری برنمیخورید زیرا که در اینصورت طرف صحبت و مجالست شما از دوحال خارج نیست یا آدم باحزم بوده با رفقا رفتارمیکند از بی‌مبالاتی وبی‌پروائی دور و برکناراست اگر بچنین هم نشینی شما نصیحت کنید واورا بعیوبش متنبه سازید خوبی و خیرخواهی کرده‌اید او هم خوبی وخیرخواهی شما را خواهد دانست .

چنین آدمی اگر در آغاز نصیحت تکبر ورزد پس از آنکه در سخن شما فکر و دقت نمود و قدر سخن ونصیحت شما را دانست دو باره بیش از پیش بشما علاقمند خواهد شد اگر طرف صحبت و مجالست شما چنین آدمی نباشد بلکه شخص خشن وبی‌پروائی باشد درصحبت ومجالست چنین آدم در هر حال خواه باو مخالفت بکنی و یا موافقت از عدم رفق او ایمن نخواهی بود .

پس در این‌صورت اصلاصلاح نیست باچنین‌آدم معاشرت ومجالست نمائید تا محتاج رهنمائی شوید .

راه نصیحت

طریق ارشاد و راه نصیحت اگر چه طرف شخص خردمند باشد آن نیست که دیوانه‌وار وبدون مراعات وملاحظه راه و روش شروع بنصیحت و ارشاد بنمائی بلکه سزاوار اینست با آنشخص که خردمند است از راه مشورت بیائی با او چنان با رفق و ملایمت مشی کرده سخن بگوئی که‌آدم با زخم خون‌دار بدن خودش با رفق وملایمت رفتار میکند با نرمی‌وآرامی خون آنرا میشوید .

و نیز آهسته با او سخن بگوئی در خلوت ترین جاها و مستورترین احوال نصیحت آغازکنی .

و در متنبه ساختن وی بعیوبش تعریض و تلویح و اشاره بهتر و مؤثر تر از تصریح میباشد و سخن را در ضمن امثال گفتن زیباتر ازکشف و آشکار گفتن است .

پس از آنکه با چنین راه و روشی شروع بنصیحت و ارشاد نمودی اگر دیدی طرف با میل و رغبت بسخن تو گوش فرا میدهد وبا نظر قبول آنرا استماع میکند سخن و اندرز خودرا بطور کمال بگو و چیزی را که گفتنش لازم است فرو نگذار یعنی نصیحت کامل کن ولکن درعین حال از افراط و پرگوئی و ملول کردن وی بپرهیز .

و در گفتن رأی و نظر خودت زیاده از یك وجه نگو و بگذار رأی تو در قلبش مخمر گردد و در اطراف آن فکر واندیشه بنماید تا عاقبت کار را بداند .

اگر دیدی رفیق و هم نشینت بسخن و نصیحت تو اعتنا نمیکند سخن خودرا قطع کرده معنی و مقصود آنرا بغیر آنچه مقصودت بود حمل نموده و روی سخن را برگردانیده نصیحت و ارشاد را بوقت دیگر که نشاط و فراغت و صفاء قلب داشته باشد میگذاری (۱)

(۱) سخن حق ونافع همیشه دردلها اثر و نفوذ دارد بشر بالطبیعه حق‌دوست ومنفعت‌دوست است اگر گویندهٔ سخن حق ونصیحت را باحسن نیت ونظرپاك وحسن اخلاق و نرمی و ملایمت وبموقع بگوید دلرا میرباید و اگر استعداد شنونده برای پذیرفتن سخن حق وسودمند چنان نباشد که در همان حال آنرا بپذیرد بطورحتم دردلش تأثیر عمیق میکند مانند تخمی که درزیر خاك نهان بوده منتظر وقت مناسب است تا بروید و بهره و ثمر بخشد این سخن حق و نافع هم در دل شنونده ودر دماغش قرار گرفته منتظر وقت مناسب میباشد تا اظهار وجود وعرض اندام نموده دراصلاح قلب وفکر وکار و کردار صاحبش بکوشد . آری نیرو واستعداد سخن حق ونافع در دل و دماغ بشر از تخم و هسته‌ای که دردل خاك مستورمیباشد کم وبی‌استعداد نیست پس گویندهٔ سخن باید بکوشد دراینکه سخن حق ونافع بگوید وآنرا باحسن نیت وحسن خلق و بنرمی و ملایمت بگوید . (مترجم)

مقایسه در اخلاق

کسیکه میخواهد در اخلاق و عادات خود تصرف و اصلاح بکند باید از اخلاق و صفات و عادات مردم آگاه شده آنها را با اخلاق و صفات وعادات خود مقایسه بنماید و بداندکه اوهم مانند دیگران است افراد بشر مثل و شبیه همدیگرند.

اگر دید اخلاق وصفات خوبی در آنها هست باید بداندکه در اوهم مانند آنها هست‌آشکار است ویا نهان اگرظاهر است باید مراقب ومواظب آنها باشد تا محو و نابود نگردد و اگر پنهان است باید آنها را بهیجان درآورده و زنده بکند و در این کار مسامحه و سهل انگاری را بخود راه ندهد در اینصورت این اخلاق و صفات در اسرع وقت و بآسانترین وسیله دعوت صاحبش را اجابت مینمایند.

وقتیکه عیب و خلق نکوهیده و یا عادت بدی را دید باید بداند که میل بآن درنفس اوهم ثابت است یا پدیدار است و یا نهان اگر دید ظاهر و پدیدار است باید بآن قهر و غلبه نموده از وجود خودش آنرا قلع و قمع بنماید و آنرا بکمی استعمال و شدت فراموشی از بین ببرد.

و اگر دید نهان و کامن است مراقب خود باشد که آن بروز نکند و بحفظ و حراست خود پرداخته نگذارد آن صفت نکوهیده و عادت بد از گریبان وی سر درآورده مفتضحش بنماید.

برای‌انسان سزاواراست اینکه برای نفس‌خود ازطرف خود هم‌ثواب و عقابی قائل‌شده بدین وسیله برنفس‌خود سیاست‌کند اگرنفس درپذیرفتن فضائل و ترك رذائل خوب اطاعت کرد و بآسانی منقاد گردید بوسیلهٔ زیاد

ستودن ومسرور نمودن واجازهٔ تمتع ازبعضی لذّات جزای‌خوب‌دهد. (۱)

و اگر دید نفس در پذیرفتن صفات خوب وکارهای نیکو خود داری نموده خوب اطاعت نکرده بلکه سرکشی بخرج داده رذایل را بر فضایل ترجیح داد بمذمت وملامت زیاد و بندامت وپشیمانی شدید وجلوگیری از تمتع ازلذات عقابش بکند تا رام واطاعت‌کارگردد. (۲)

(۱) البته معلوم است که ستودن نفس در برابر اقدام بکار نیکو و پذیرفتن اخلاق و صفات خوب تا اندازه‌ای خوب است که موجب تشویق وتقویت امید برای پیشرفت و صلاح بیشتری باشد وگرنه در صورتیکه سبب خودپسندی و خود بینی و غرور و زیان باشد خوب نیست شخص خردمند و با بصیرت باید همیشه متوجه نعمت ها وتوفیق خدا بوده بداند بهرکار وصفت خوب ومعرفت و فضیلت علمی و عملی که موفق میگردد و بهرخیر وصلاح وسعادتی که نائل میشود همگی از خدا است توفیق کار و کوشش در راه صلاح و سعادت هم یکی از بزرگترین نعمت های خدا است و هم چنین در بارهٔ اجازهٔ تمتع از بعضی لذات معلوم است لذتهای حلال و مشروع است که زیان وفسادی در آن نباشد. (مترجم)

(۲) یکی ازدانشمندان دراین مقام درموضوع جلوگیری ازتمتع نفس‌سرکش ازلذات میگوید (منع نفس سرکش ازلذایذ باید بوسیلهٔ ریاضت شرعیه‌باشد مانند زیاد نماز خواندن وروزه گرفتن و امثال اینها)

سخن این دانشمند دارای نکتهٔ خوبی است وآن اینست نفس را اگر ازلذات ممنوع نموده آنرا باشتغال بکار نیکوئی اصلاح و تأدیب نمائی بهتر است از اینکه آنرا فقط برنج و زحمت و ممنوعیت از لذت تأدیب نمائی زیرا که در رنج تنها اولا آن فایده ومصلحتی که زیاده از رنج درکارنیکو هست ازدست میرود و ثانیاً ممکن است بنفس از ناحیه دیگری از قبیل خاطر بد و خیالات و وسوسهٔ نفس و فشار براعصاب زیان و صدمه‌ای برسد پس بهتراست انسان برای تأدیب نفس سرکش را بریاضت شرعیه و بکار های نیکو و سودمند مشغول سازد زیرا که ریاضیات شرعیه آدمی را بسوی صلاح و سعادت سوق میدهد و در عین حال رنج و زحمتش باندازه وقدر لازم و مناسب و متوسط بوده فایده تأدیب را در بر دارد. (مترجم)

تدبیر دخل وخرج

احتیاج مردم بقوت‌وخوراك باعث شد براینکه همه‌کس درراه‌کسب و بدست آوردن آن از راه هائیکه خدا قرار داده و افراد بشر را بپیمودن آن ملزم نموده است بکوشد چون مردم در باب معیشت و زندگانی‌دوقسمند بعضی بسببی مانند ارث وغیره ازسعی‌وکوشش بی‌نیاز میشوند وبرخی‌چنین نبوده بلکه بکسب محتاج میباشند. (۱)

(۱) اشخاص ثروتمند وتوانگر هم‌بکارو کوشش محتاجند زیرا که‌اینان گرچه تا اندازه‌ای مال و ثروت دردست داشته میتوانند تا مدتی بدون‌کارو کوشش بوسیلهٔ آن زندگانی و اعاشه‌بنمایند ولکن بدیهی است که اگر اینان بی‌کار نشسته کار وکاسبی را ترك کنند پس ازمدتی که مال موجودی را تمام کردند بایك مصیبت‌شدید روبرومیباشندزیرا که براحتی‌وعیش وعشرت خو گرفته‌اند و با فقر و فاقه ناسازگارند کوشش در راه تأمین‌معیشت برایشان‌دشواراست و براه‌کار وکاسبی آشنا نیستند واگرهم آشنا گردیدند تازه‌کار وبی‌تجربه‌اند و با مشکلات و موانع روبرو میباشند درحالی که تازه بآنها واردشده وحشت خواهند نمود خلاصه با این حال با قیافهٔ عبوس فقر و فاقه و چهرهٔ گرفته کار وکوشش روبرو خواهندشد حقیقت‌مصیبتی‌است بزرگ بعلاوه این‌توانگران و ثروتمندان بمقتضای دین و دانش و عقل و وجدان زیاده‌برتکالیف‌زندگانی شخصی خود نسبت بضعفا و فقرا و زیردستان و بیچارگان و مصالح عامه هم تکالیفی دارند که باید در این مصارف خیریه صرف و انفاق بنمایند. پس توانگران و ثروتمندان هم برای ادامه عزت و آسایش زندگانی شخص خودشان و برای صرف و انفاق در راه خدا که عبارت از مصالح دینی و عمومی است محتاج کار و کوشش میباشند باید با وجود مال و سرمایه بکاسبی پردازند وانفاق درمصارف ومصالح شخصی و نوعی را باسعی و عمل روی اساس وپایهٔ پایدار و استواری قرار بدهند. (مترجم)

قسم دوم که بکار وکاسبی محتاجند ملزم‌شده‌اند باینکه بوسیله تجارت و صناعت پی کسب و بدست آوردن غذا و خوراك بروند صناعت ثابت تر و پایدار تر از تجارت است زیرا بیشتر مورد اطمینان و وثوق است زیرا که تجارت بوسیله مال صورت میگیرد و مال هم در عرضهٔ فنا و زوال بوده و ممکن‌است ازدست تاجر رفته وآنرا بی‌سرمایه بگذاردولکن صناعت اینطور نیست بلکه چیزی است که صاحب‌آن آنرا آموخته میتواند بدون داشتن‌مال و سرمایه هم ازآن استفاده نماید. (۱)

صناعات ارباب مروّت سه‌گونه است. (۲)

(۱) همانطور که احتیاج آدمی منحصر بغذا وخوراك نبوده مولف آنرا از باب مثال گفته همچنین راه کسب ووسیلهٔ زندگانی منحصر بصنعت و تجارت نبوده بلکه از فلاحت وغیره‌اسباب ووسایل دیگری هم‌هست که موادولوازم‌صناعت و امتعه و اجناس تجارت را تهیه و فراهم میسازد البته معلوم است که این دانشمند برومند از آنها غافل نبوده بلکه بلزوم کار و کوشش برای تأمین زندگانی اشاره و دو راهی از طرق مختلف آنرا از باب مثال ذکر کرده است و احتمال میرود که صناعت در نظر این دانشمند شامل همهٔ آنها باشد چنانکه واضح‌است که صناعت درعبارت این‌فیلسوف معنی وسیعتر وشامل‌تری ازمعنی ومفهوم امروزیش دارد. صنعت که امروز در مقابل فلاحت و تجارت گفته میشود شامل طلب ومشاغل ادبی و سیاسی نمیشود در صورتیکه مؤلف آنها را از امور صناعی شمرده است. (مترجم)

(۲) صنایع از حیث مراتب سود و مصلحتی که از آنها عاید جامعه میگردد متفاوت است بعضی نفع وخیر شخصی ونوعی زیاد دارد وبرخی کم البته کسی که میتواند بکاری که ازلحاظ خیر و سود شخصی ونوعی‌مهمتر است بپردازد ولی آنرا کنار گذاشته بکاری که خیرش کمتر بوده کار ضعفا است مشغول شده بدینوسیله زیان وخسارتی بخود وجامعه برساند برخلاف مروت کار کرده

۱ ـ از ناحیه عقل وآن عبارت‌است از رأی صحیح ونظرصائب در مشورت و حسن تدبیر.

این صناعت ارباب سیاست و تدبیر وصاحبان مقام وزارت میباشد.

۲ ـ از ناحیه ادب و آن عبارت است ازنویسندگی ومنشیگری‌وعلم نجوم وپزشکی وغیره.

این صناعت ادباء است.

۳ ـ از ناحیه دستها ـ مانند شجاعت و این صناعت سوارکاران و تیراندازان است.

کسی که میخواهد یکی ازاین صناعات را(۱)برای خود وسیلهٔ زندگانی اتخاذ کند باید بکوشد که بنیان آنرا بر پایهٔ محکم و استواری قرار بدهد و در آن پیشرفت و ترقی شایان نموده بر همکنان خود تقدّم و پیشی گیرد تا در میان صاحبان آن کار پست و ناقص بشمار نیاید و عقب مانده هم محسوب نگردد.

برای آرایش و زینت مرد چیزی زیباتر از این نیست که از روی استحقاق بوسعت روزی موفق آید سپس تأمین معیشت خود را از راهی بطلبد که باصول عفت و رفق نزدیکتر باشد واز شره وحرص و طمع آشکار و ناپاکی و آلایش دورتر بود.

ماندهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

است گرچه همین‌کار از ضعفا که چاره جز اشتغال بامثال آن ندارند برخلاف مروت نیست نظر مؤلف باین نکته بوده و خواسته است باین اصل و قاعده اشاره نماید وگرنه صنایعی که وسیلهٔ تأمین معاش صنعتگر بوده وحاصل آنها هم رفع احتیاجات عمومی را مینماید و بادین وخرد هم مخالف نمیباشد بااصول مروت و شرافت هم مخالف نمیباشد. (مترجم)

(۱) این کارها برای‌شرایط مذکورخصوصیتی نداردرهمهٔ کاروسایل‌زندگانی باید انسان بکوشد که آبرومند و جالب توجه و مورد میل و رغبت مردم باشد

باید بدانی هر زیادی که بوسیله غلبه و حق کشی و اجبار بدست آید و هر منفعتی که بوسیلهٔ معصیت و گناه و بد نامی و وسایل ننگین و بی شرمی و بذل آبرو و بی مروّتی و لطمه بعرض تحصیل شود موهون و بی قدر و قیمت است گرچه ظاهرش مهم بنظرآید وکم است گرچه مایه‌اش زیاد باشد و سبب بدبختی است گرچه گوارا بنظر آید و کار وخیم وننگین است گرچه بظاهر فریبنده باشد.

مالی که بصفا و بی آلایشی بدست آمده کدورت و آلودگی در آن نباشد و بآسانی تحصیل شود مشقت و زحمت زیاد در آن نباشد سودمند تر و پربرکت‌تر وگواراتر است اگرچه بظاهر کم و وزنش سبك باشد.

انسان وقتی که مال بدست آورد مقتضای سیرت عادله ونیکو اینست که قسمتی از آنرا در زکوة و صدقات و ابواب معروف و مصارف خیریه صرف بنماید و قسمتی را برای مصائب و حوادث روزگار و مواقع احتیاج ذخیره نماید.

بقیهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

وبنیاد آنرا روی‌اساس محکم ایمان‌وتقوی قرار دهد یعنی از خدا وروز جزا و حقیقت زندگی و دنیاغافل‌نگردد واصول عدل و احترام حقوق ونیکوکاری و فضایل اخلاقی را مراعات نماید تا سعی و عملش در اثر خوبی و شایستگی صوری‌ومعنوی‌نمایان‌ودرخشان‌بوده سودومنفعتش‌فراوان وپایداری واستواری داشته‌باشد نتیجهٔ‌کارو کوشش نیکوکاران وبدکاران هیچگاه یکی‌نمیباشد برای خیروصلاح وسعادت فردی ونوعی همه کس در همه حال موظف است بنیکوکاری ودرستکاری‌وحسن وزیبائی‌کار و کرداروبهترین وسیله برای اینکارمهم وسعادت بخش تکمیل خداشناسی و خدا پرستی است که وجود آدمی و آثار وجود وکار و کردارش برطبق نظام وجمال خلقت وحکمت وتدبیر خدا قرار میدهد (مترجم)

اما در قسمت زکوة و صدقات سزاوار اینست که انفاق و صرف در آنها بطیب خاطر و حسن نیت باشد و انفاق‌کننده اطمینان داشته باشد باینکه آنرا برای روز حاجت و فاقه اش ذخیره و آماده مینماید و اینکه قسمت معظم آنرا در میان ارباب فقر و مسکنت بکسانی بدهد که فقر و مسکنت خودرا از مردم پوشانده و پرده ایرا که خدا بسبب آن حال او را از نظر مردم مستور و پنهان نموده است پاره نمیکند و باقی مانده را بکسانی از فقراء و مساکین که نیازمندی و مسکنتشان ظاهر و پدیدار گردیده و حالشان او را برقت میآورد بدهد و اینکه این انفاق و صدقه را برای رضای خدا بکند و ثمرهٔ سپاسگذاری و جزا و کیفر از کسیکه باو انفاق میکند نداشته باشد برای‌انفاق درمعروف شرائطی هست. ۱ــ تعجیل آن زیرا که عجله کردن در آن گوارا تر میباشد. ۲ــ کتمان آن زیرا که کتمان‌وپوشیده نگهداشتن‌آن برای ظهور آن نزدیکتر و مؤثر تر است(۱).

---

(۱) مراد ومقصود این نیست که انفاق کننده ظهور وآشکار شدن انفاقش را میان مردم درنظر بگیرد یعنی برای شهرت وجاه‌طلبی وریاکاری اقدام بانفاق کرده و بهترین وسیلهٔ رسیدن باین مقصود راکتمان انفاق قرار بدهد بلکه مقصود اینست که انفاق باید درراه خدا وبرای رضای اوواطاعت امرش باشد که فرموده است یکی ازموجبات نجات وسعادت بشر اینست که قسمتی ازمال در مصارف خیریه که از دستگیری از ضعفا گرفته تا مصالح عمومی و دینی دامنه‌اش توسعه دارد صرف و انفاق شود و رضای خدا از بشر در اینست که بشرصالح و سعادتمند و رستگار گردد.

وقتی که مالدار و توانگر برای اطاعت این امر نجات بخش و دستور نیکبختی اقدام بانفاق واحسان نمود خود حقیقت وفضیلت برای‌آبرو وسعادت دنیوی واخروی انسان اثری دارد که در ریاکاری وجاه طلبی و نام جوئی آن اثرنیست حقیقت وفضیلت هیچگاه پوشیده ومستور نمانده اگر صاحب حقیقت

٣ ـ کوچك دیدن آن زیرا که اگر انفاق کننده انفاق و احسان خود را کوچك ببیند کار نیکوی خود را بزرگ کرده است. ٤ ـ پیوسته بودن آن زیرا که اگر آنرا قطع نماید موجب فراموشی اول و سبب محو شدن اثر آن میگردد (١). ٥ ـ در مورد خیر ومحل خوبی انفاق شود زیرا که اگر انتخاب محل و مورد نشود و آنرا در جای مناسب وشایسته صرف و انفاق نکند مثل اینست که تخم و بذر را در شوره زار قرار بدهند که نه صلاحیت حفظ آنرا دارد و نه قابلیت رویانیدن و نمو دادن.

چه اشخاصی اهلیت وصلاح آنرا دارند که وجوه برّ ومعروف بآنها داده شود.

کسانیکه بخوبی وشایستگی آنرا صرف و خرج میکنند وسپاسگذاری آنرا بجا میاورند و محاسن و خوبیهای آنرا نشر میدهند و در برابر آن

ماندهٔ پاورقی ازصفحه پیش

وفضیلت هم آنرا پنهان بنماید آن خود مانند نور قوی ازناحیه دیگری خودش را نمایان نموده و نمایندهٔ فضیلت صاحبش میباشد خلاصه کاری که برای خدا باشد اثری دارد که در ریاکاری ومقاصد پست و زشت آن اثر نیست (مترجم)

(١) هرکار نیکو در اصلاح وتزکیه نفس اثری دارد وهمچنین کارهای زشت وپست وناروا در افساد وناپاك وتاریك نمودن آن مؤثر است کسیکه بامرخدا اطاعت نموده برای سعادت خود ونوع خود قسمتی از مالش را بنیت خالص و پاکی در مصارف خیریه ومصالح دینی و عمومی صرف وانفاق بنماید ازناحیه بسیار مهمی باصلاح وتزکیه نفس وتهذیب اخلاق خود پرداخته است اگراین کار نیکو وسعادت بخش را ترك نموده جای آنرا به‌بخل وخست بدهد بدیهی است اصلاح‌نفس وتهذیب اخلاق را بافساد نفس وبزشت وپست نمودن اخلاق وعواطف تبدیل نموده‌است وزیان وخسارتی از این کار برده است نه تنها اثر اخلاقی انفاق سابق را محو کرده. (مترجم)

مودت ودوستی بخرج میدهند برای‌این انفاق اهلیت واستحقاق وشایستگی دارند. (١)

اما مخارج شخصی صلاح وسداد امر دراینست که نه بحد اسراف و تضییع مال برسد و نه بخست و بخل زیاد بلکه باید در خرج کردن تقدیر و تدبیر بکار رفته بعنوان اعتدال و بمیانه روی خرج شود.

اما قسمت ذخیره برای‌روزحاجت شخص‌خردمندنبایدغافل باشد از اینکه روزگار حوادث و مصائب و پست و بلندی هائی دارد که باید برای آن مواقع از پیش ذخیره و مالی اندوخت زیرا که اگر ازپیش برای روزهای حاجت فکری نکند وپس اندازی ننماید وبا تمکن و توانائی برای آنها خودرا آماده ومجهز نسازد در این مواقع باقیافهٔ عبوس فقر وفلاکت روبرو و مواجه میگردد.

پس باید از پیش هر وقتی که ممکن باشد برای آنروزها قسمتی از مال را ذخیره کرد اما نباید در هیچ حال از کفایت وحفظ خدا غافل بود

---

(١) این‌شرایطیکه این دانشمند برای صلاحیت واستحقاق ذکرمیکند شرایط کمالی‌است یعنی اگروجوه‌برّ ومعروف بچنین مردمی داده شود بکسانی داده شده‌است که‌کاملااهلیت واستحقاق را دارا میباشند وگرنه اگر کسی ازضعیفی دستگیری بکند و بینوائی را از فقر وفلاکت نجات بدهد اگرچه آن شخص شایستهٔ آن نباشد که در مقابل دوستی کند باز احسان و کار خوبی کرده است بلکه میتوان گفت خلوص نیت در اینمورد بارزتر است تاکسی که دوستی در مقابل بخرج خواهد داد و همچنین سایر مصارف خیریه و موارد احسان.

(مترجم)

در همه احوال کافی و دفع کنندهٔ بلایا و مصائب خدا است . (۱)

(۱) بسیاری از مردم حتی از مسلمانان در این موضوع یا در طرف افراط و یا در طرف تفریط واقعند یعنی یا چنان بعالم اسباب متوجه شده و درملاحظه و مراعات آن از حد گذشته افراط میکنند که خدا را فراموش مینمایند و از این حقیقت‌روشن غافل میباشند که وجود اسباب و آثار از خدا است همه کس درزندگی خودش زیاد دیده که بافقدان وسائل واسباب بامشکلی روبرو شده سبب‌ساز برایش چنان سببی ساخته که وی خیال نمیکرد وباز گاهی دیده‌است که باوجود اسباب ووسایل نتیجه نگرفته است .

در مقابل اینها بعضی هم در طرف تفریط واقع شده بکلی از اسباب روگردان ومعرض شده عقیده ندارند باینکه خدا بحکمت بالغهٔ خود درجریان مقدرات امور عالم اسبابی قرار داده است وفرموده است انسان بی‌آنها برود و در عین حال نظر واعتمادش بخدا باشد وباو توکل داشته باشد .

مؤلف باین حد اعتدال که دستور دین مقدس اسلام است اشاره مینماید . (مترجم)

سیاست مرد در بارهٔ زن

زن شایسته و نیکو شریك مرد است در ملکش و قیم (۱) اوست در مالش و جانشین وی است در خانه اش و امین وی است در پرورش و تربیت فرزندانش .

(۱) مقصود از قیمومت اینست که تدبیر و رأی صائب وخانه‌داری زن خوب وشایسته در دخل وخرج شوهرش چنان مدخلیت واهمیت دارد مثل اینست که مدیر ومدبر امور دخل وخرج وی است .

واضح وروشن است که عقل ورأی و خانه داری واخلاق زن خوب در انتظام دخل و خرج و پیشرفت حیات اقتصادی خانواده تأثیر نمایان دارد چنانکه‌باز معلوم و مسلم است بدخرجی وبی‌نظمی و بداخلاقی زن از نواحی مختلفه موجب بی‌نظمی وخسارت وزیان در حیات اقتصادی و کدورت وفساد درحیات اخلاقی خانواده میباشد . (مترجم)

اوصاف بهترین زنها

بهترین زنها زنی است که دارای صفات ذیل باشد :

۱ ــ خردمند باشد .

۲ ــ دیندار باشد .

۳ ــ با شرم باشد .

٤ ــ زیرك و با فطنت باشد .

٥ ــ دوستدار و با محبت باشد .

٦ ــ ولود باشد .

۷ ــ زبان‌دراز نباشد .

۸ ــ اطاعت‌کار باشد .

۹ ــ پاکدل و بی‌غش باشد .

۱۰ ــ در پشت سر مرد و حال غیبت او امین باشد .

۱۱ ــ وزین و سنگین باشد .

۱۲ ــ با وقار باشد .

۱۳ ــ با هیبت باشد . (۱)

۱٤ ــ در مقام خدمت بشوهرش تکبر نورزد بلکه فروتن باشد .

۱٥ ــ تدبیر کار و کردارش را خوب و نیکو بنماید .

۱٦ ــ اندك شوهرش را بصرفه جوئی زیادکند .

۱۷ ــ گرد و غبار حزن واندوه را از دل شوهرش بوسیلهٔ اخلاق نیکو و زبانش پاك کند و هموم شوهرش را با لطف مدارای خود تسلیت دهد .

(۱) یعنی وضع و هیکلش اجازه ندهد که کسی بانظر بدی باو نگاه بکند و یا سخن هرزه ونامناسب بگوید ویا رفتار زشت وناروائی بنماید . (مترجم)

اصول سیاست مرد در بارهٔ زن

اصول و قواعد سیاست مرد در بارهٔ زن در این سه اصل و قاعدهٔ کلی مندرج و مجتمع میباشد .

۱ ــ هیبت شدیده یعنی زن از مخالفت دستور شوهر کاملا بترسد .

۲ ــ کرامت تامه یعنی تکریم و محترم نگاه داشتن زن .

۳ ــ مشغول ساختن خاطر زن بکار مهم .

اما لزوم هیبت اگر زن از شوهر ترس و ملاحظه ای نداشته باشد شوهرش در نظرش موهون میگردد وقتی که شوهر در نظر زن موهون گردید زن بامر و فرمان شوهر اطاعت نمیکند و از چیزی که نهی کرده است خودداری نمی نماید سپس باین حد اکتفا و قناعت نکرده می کوشد کار را معکوس نموده مرد را مقهور و مطیع خود میسازد تا کار بجائی منتهی میگردد که زن فرمان فرما و مرد بالطبع فرمانبر میشود و زن از کارها و چیزهائیکه بر خلاف میل و رأیش باشد مرد را نهی میکند ومرد هم مجبور میباشد که از نزدیك شدن بآن‌چیز و یا کار خودداری بنماید و زن صاحب تدبیر گردیده مرد باید در تحت سیاست و تدبیر او زندگی بنماید هنگامیکه کار باینجا رسیده و اصول سیاست خانواده معکوس و واژگون گردید تمرد وطغیان و قصور رأی وسوء تدبیر و گمراهی ونادانی و هوسبازی زن در جریان مقدرات زندگی خانواده حکمفرما گردید ننگ و هلاکت و بدبختی روزگار آن خانواده را تیره و تار خواهد نمود .

پس ترس وخودداری زن ازتخلف از امر و نهی شوهر پایه‌واساس سیاست مرد است در بارهٔ زن .

این اصلی‌است که بوسیله‌عمل بآن راه هرعیب ونقص بسته میگردد و در غیاب مرد هم زن را در حد خود نگاه میدارد .

چیز دیگر و سیاست دیگری نمیتواند جانشین آن گشته مرد را بی‌نیاز از این عامل مهم بنماید وبدون عمل باین اصل انتظام امور مرد و زن نسبت بیکدیگر ناقص و ناتمام میباشد .

وسیلهٔ ترس زن از مخالفت دستور مرد عبارت است از امور ذیل :

۱ ــ مرد احترام خودرا نگهدارد .

۲ ــ دین و مروت خودرا حفظ کند .

۳ ــ بوعد ووعید خود عمل نماید .

اما تکریم زن یعنی مرد بزن خود شرافت و احترام قائل بشود از جمله منافع این‌کار اینست زن‌آزاد و با شرافت وقتیکه دید شوهرش نسبت باو شرافت و احترام قائل است کوشش میکند که حس احترام و تکریم شوهرش نسبت باو دوام و همیشگی داشته باشد و سعی مینماید در اینکه نگذارد علل و مبانی آن از بین برود .

این علاقمندی و سعی زن برای حفظ استدامت و همیشگی این احترام و تکریم ویرا وادار میکند باینکه برای شوهرش از خود چنان خوبی و لیاقت و شایستگی از حیث اوصاف و رفتار و کردار نشان بدهد که شوهرش بجز راه احترام و تکریم نمی توانست با تکلیف سخت و غیره آنرا بدست آورد .

بعلاوه حیثیت وشرافت زن هرقدر بیشتر باشد برشرافت و جلالت و بلندی مقام شوهرش بهتر و بیشتر دلالت میکند .

تکریم و احترام مرد نسبت بزنش عبارت است از امور ذیل :

۱ ــ اورا با وضع خوبی نگهدارد .

۲ ــ اغاره او را ترك کند (۱)

۳ ــ **خاطر زن را بکاری مهم مشغول سازد** ــ باید مرد خاطر زن را بکاری مشغول بدارد زیرا که اگر زن بیکار باشد و بمشغولیتی سرگرم نباشد همش مصروف میشود بآرایش و پیرایش وخودنمائی واینکار ویرا وامیدارد باینکه تکریم واحترام شوهرش را دربارهٔ خودکوچك بشمرد و زمان زیادتی آنرا کوتاه بداند و از نیکی و اطمینان او راضی و خوشنود نگشته بلکه خشمگین گردد . (۲)

---

(۱) اغاره در لغت بمعنی تولید حس غیرت بواسطهٔ هوو و غیره و بمعنی زیاد دقت گرفتن در کار آمده هر دو این معانی محتمل بود لذا عین لفظ مؤلف را در متن نقل و در پاورقی معانی مناسب آن را ذکر کردم . من نتوانستم‌یکی ازاین‌دومعنی‌را بطور یقین‌ترجیح دهم شایدبعضی‌ازخوانندگان بتوانند . (مترجم)

(۲) واضح وروشن‌است همانطور که‌کار نیکو و شایسته یکی از عوامل مهم صلاح و سعادت بشر است همچنین نبودن‌کار سودمند هم زیان زیاد و خسارت مهمی بروحیات اومتوجه میسازد .

اگر هیچ ضرر وزیانی دربیکاری نباشد خود همان تضییع عمر عزیز و از دست دادن سرمایه قوا ومواهب جسمی وروحی که خدا برای رشد وصلاح و سعادت انسان باو عطا فرموده برای زیان وخسارت آدمی کافی است تا چه رسد باینکه هنگام بیکاری‌وسوسه‌ها وخاطره‌های بدی باقلب وروح وعواطف وی بازی بنمایند و چه تألم و عذاب روحی در اثر خیالات ناگوار برایش فراهم آید .

بیکاری آدمی را تنبل و کسل می نماید و روحش را پژمرده و افسرده

سیاست مرد در بارهٔ فرزندش

ازجمله حقوق فرزند دردمهٔ پدرش اینست که ویرا بنام نیکوبنامد(۱) سپس دایهٔ خوبی برای او انتخاب کند که احمق و بی‌خرد و بیمار نباشد زیرا

ماندهٔ پاورقی ازصفحه پیش

میکند و موجب دلتنگی میگردد و عقل را تیره و فکر را تاریك وعواطف را سست می نماید .

بیکاری نیرو ونشاطرا ازدست قوا وغرایز گرفته آنهارا بتدریج بسوی سقوط وانحطاط سوق میدهد بیکاری بصحت و سلامتی انسان هم‌مضرمیباشد خلاصه بیکاری ضرر وزیان زیاد بعقل وفکر وقلب وعواطف وقوا و غرایز و اخلاق وآبرو وصحت و سلامتی انسان دارد .

این ضررهای گوناگون بمرد و زن بیکار هردو متوجه میباشد.

البته مرض بیکاری در تن و روان زن که ضعیفتر از مرد می باشد بسرعت وسهولت میتواند بفعالیت بپردازد . پس بنا بر این بر مرد که رئیس خانواده و سائس افراد آن و مدیر امورشان میباشد لازم است که میکرب بیکاری را بکلی ازمحیط خانوادهٔ خود دور و بر کنار نموده در سایهٔ ایمان و تقوی‌بوسیلهٔ کارهای نیکو وسودمند موجبات‌رشد وصلاح‌وسعادت خود وافراد خانوادهٔ خودرا فراهم سازد . (مترجم)

(۱) نام شخص درروحیهٔ وی تااندازه‌ای‌تأثیردارد مخصوصاً درنفس مردمان هوشمند وحساس‌اگر پسری‌را بنام یکی ازمردان بزرگ‌دنیا که سودفراوانی از وجودش بعالم انسانیت رسیده است بنامند و منظور از انتخاب این اسم این باشد که این پسر پس‌ازآنکه بزرگ شد برای رسیدن بمقام بلند درعالم انسانیت‌همیشه‌فکرونظرش‌متوجه‌عظمت آن‌بزرگ‌بوده‌تابدینوسیله همت‌خودرا بلند و ارادهٔ خودرا قوی بنماید و در تربیت بعدی هم بر طبق این نظر بلند

چنانکه گفته شده است شیر سرایت میکند . (۱)

هنگام فطام بچه یعنی زمانیکه شیر خوردن بچه تمام شده مبدّل بغذا های دیگر میگردد شروع شود بتأدیب وتربیت اخلاقی او .

پیش ازآنکه بچه بخوهای بد و عادات زشت آشنا گشته صورت آنها در صفحهٔ نفسش نقش بندد باید او را با اخلاق نیکو و صفات پسندیده و عادات ستوده روبرو و مواجه ساخت و وجودش را بآنها بیاراست .

باید بچه را ازکار های بد دور و از عاداتی که عیب شمرده میشود برکنار نمود .

ماندهٔ پاورقی ازصفحهٔ پیش

رفتار شود یعنی آن پسررا بر طبق اصول انسانیت تربیت نموده بایمان وتقوی وفضایل علمی وعملی که راه صلاح وسعادت است متوجه نمایند البته این پسر وقتی که مرد شد ازیادآوری نام‌آن بزرگ تاریخ استفاده خواهد کرد لذادر فقه اسلام هست که پسرهای خودتان‌را بنام پیغمبران و پیشوایان دین بنامیدو همینطور در نام گذاری دختران خوب است بنام بانوان بزرگ دین بنامند خلاصه اینگونه نام‌گذاری از جمله وسایل تلقین بنفس است که امروز خیلی مورد توجه واقع گردیده است . (مترجم)

(۱) بقدر امکان نباید بچه‌را بدست دایه داد زیرا که آن علاقه ومهری که مادر نسبت بفرزندش دارد در دایه نیست و نیز وقتیکه سرایت روحیات بوسیلهٔ شیر دادن وجودداشته باشد چنانکه این فیلسوف اشاره میکند و در زبانها هم از راه تجربه شایع است در این صورت اطمینان بجهات اخلاقی و روحی دایه کار مشکلی است بعلاوه ممکن است دایه مرض ساری کامن و پنهانی داشته باشد که اولیای بچه ملتفت آن نشوند مادران خردمندوعلاقمند بفرزند نباید شیر دادن به بچهٔ خود را منافی شرافت و یا مزاحم راحتی خود دانسته نوردیدگان خودرا بدست بیگانگان بسپارند . البته مواقع ضرورت و حاجت مستثنی است . (مترجم)

برای نائل شدن باین مقصود مربی باید گاهی تهدید و گاهی ترغیب نماید و هنگامی بستودن و زمانی بمذمت وقتی باقبال و موقعی باعراض و یکباربمتوحش نمودن ازکار زشت وبار دیگر بمأنوس نمودن بکردار نیکو او را از بدیها گریزان و بکار های نیکو مایل و عامل بنماید و هریك از این وسایل را در جای خود بکار برد .

اگرتنها این وسائل کافی نباشد بلکه بکمك دست هم احتیاج پیدا کند دراینصورت نباید از زدن خودداری کند وباید زدن بچه دربار نخستین کم ولی دردناك باشد چنانکه حکماء گفته‌اند واین تأدیب راپس ازترسانیدن سخت و آماده کردن شفیعان انجام دهد زیرا که اگر کتك اول دردناك باشد بعدازآن بچه ازکتك میترسد واگرکتك نخستین خفیف بوده دردناك نباشد بچه دیگر ازکتك نمیترسد و بآن اعتنا نمینماید .

آموزش و پرورش مدرسی فرزند

زمانیکه مفاصل بدن بچه سخت و زبان وی درست گویا و گوشش برای شنیدن و پذیرفتن سخن آماده ووجودش مستعد فراگرفتن علم‌وادب گردید باید باو علم وادب آموخت .

اولا باید دراانتخاب آموزگار ومربی اودقیق شدکه خردمند ودین‌دار باشد و براه تهذیب اخلاق و پرورش و تربیت بچه آشنا و بینا بوده باوقار و سنگین با مروت و پاك دامن و نظیف باشد و راه معاشرت را بداند .

اجتماع در آموزشگاه و فوائد آن

اگر درآموزشگاه بچه تنها باشد یعنی همدرس وهمکار دیگری با او نباشد موجب رنجش آموزگار و شاگرد هر دو میگردد لذا بهتر این است که از فرزندان مردمان جلیل که دارای اخلاق و آداب میباشند درمدرسه مجتمع شده در دور هم بفراگرفتن علم وادب و اخلاق بپردازند این‌کار و ترتیب چند فایده در بردارد :

۱ ـ شاگردان همیشه با نشاط و حریص بآموختن علم و ادب و اخلاق میباشندگاهی بایکدیگر مباهات میکنند وگاهی بحال همدیگر غبطه می‌خورند .

وموقعی عزت نفس وادارشان‌مینماید ازدیگرشاگردان عقب‌نمانند .

۲ ـ شاگردان مجتمع با یکدیگر سخن میگویند این سخن گفتن سبب روشنائی و فزونی عقل و فهمشان میگردد زیرا هریك شیرین‌ترین

سخنی را که دیده و شنیده است بدیگری میگوید و این شیرینی موجب شگفتی و شگفتی سبب حفظ و گفتن آن بدیگری میگردد.

۳ - فایدهٔ دیگر اجتماع که گفتیم آنست شاگردان با یکدیگر رفیق میشوند و بهمدیگر احترام مینمایند و میخواهند بر یکدیگر سبقت کنند و معاوضه و مبادله حقوق مینمایند همهٔ اینها اسباب مباهات و محاکمات و مسابقه بوده موجب تهذیب اخلاق و تحریك همت ها و تمرین عادات خوب می باشند.(۱)

چه باید آموخت

درمرتبهٔ اول بایدقرآن را بیاموزند ونشانه‌های دین راباو تلقین کنند

(۱) برای حصول این فوائد درآموزشگاه‌این دانشمند بزرگ دوچیز را بطور شرط اساسی ذکر کرده یکی اینکه آموزگار ومربی بچه ها دارای آن اوصاف پسندیده و اخلاق فاضله‌ایکه بیان کرده است باشد و دومی اینکه شاگردان از فرزندان خانواده‌های اخلاق و ادب در آموزشگاه جمع بشوند اماشرط اول که راجع بمعلم ومربی میباشد درهرحال ودرهر آموزشگاه خواه عالی وخواه دانی باشد باید مراعات شود تاتحصیل شاگردان بصلاح وسعادت دنیا وآخرت تمام شود اما شرط دوم درمدارس عمومی که از هرطبقه شاگرد پذیرفته تعلیم وتربیت میکنند غیرعملی است وصلاح هم نیست که این‌مدارس که برای تعلیم وتربیت فرزندان ملت و توسعهٔ معارف تأسیس شده اند جلو شاگردان را که از طبقات مختلفه می آیند بگیرند. وقتیکه بجهات دینی و اخلاقی وادبی‌معلم ومربی دقت ومراقبت بعمل‌آمد ووضع مدارس چنان‌خوب ومنظم ومطابق میزان فضیلت صورت گرفت که محیط علم و اخلاق و ادب گردید باوجود این دو شرط نه‌تنها ورود شاگرد از طبقاتیکه تربیت اخلاقی خانوادگی خوب ندارند زیان بشاگردان دیگر نمیرساند بلکه خود آنها در مدرسه اصلاح میشوند. (مترجم)

و اصول وقواعد زبان‌راتعلیم نمایند. پس از آموختن قرآن و حفظ‌وقواعد زبان نظر کنند چه هنر وصناعتی را میخواهند برای بدست آوردن مال و وسیلهٔ معیشت بیاموزند اصول و قواعد آن رشته را تعلیم نمایند.(۱)

استادی که میخواهد صناعت بیاموزد بایدبداندکه نمیتواند بهرشاگرد هرصنعتی را تعلیم کند بلکه هرکدام ازشاگردان ذوق وشایستگی‌آموختن وفراگرفتن‌صناعت‌مخصوصی‌رادارند باید بهرکس‌مناسب ذوق واستعدادش صناعت آموخت وگرنه تعلیم و تربیت نتیجه مطلوبه نمیدهد. دلیل براین سخن اینست اگرهمه‌کس شایسته ومستعدآموختن‌همهٔ صنایع‌بودمیبایست همه‌کس دارای ادب‌وصناعت باشد وهمهٔ مردم به‌برگزیدن شریفترین‌آداب و عالیترین صناعات اجتماع بکنند.

و دلیل دیگراینست آموختن بعضی از آداب برای قومی آسان‌وبرای

(۱)درچیزهای‌آموختنی خواه مدرسی باشد وخواه‌غیر مدرسی‌منظور اساسی بایددرنظرباشد یکی‌آنکه‌لازمهٔ حیثیت انسانیت وزندگی‌شرافتمندانه و سعادتمندانه بشر است البته‌آموختن این قسمت در درجهٔ اول بوده وبرهمه کس لازم وضروراست. قرآن مجید که بزرگترین ومهمترین کتابهای مذهبی وغیر مذهبی دنیااست اصلاح همهٔ شئون حیات مادی ومعنوی بشر را در نظر گرفته آئین انسانیت ورهنمای صلاح وسعادت است البته لزوم‌آموختن‌آن در درجهٔ اول بوده وباید بطور عموم بهمه‌کس تعلیم بشود.

منظور دوم بدست آوردن وسیلهٔ معیشت میباشد در این قسمت البته بایدخصوصیات‌واستعداد وذوق‌وسلیقه اشخاص‌را درنظر گرفت ومطابق‌تناسب و شایستگی هر کس فنی وصنعتی باو آموخت البته چون این قسمت پس از آموختن قسم اول که مشترك وعمومی بود صورت میگیرد باید برطبق‌اصول آن یعنی برطبق آئین‌آن بوده صالح انسانیت باشد که از آن در فقه اسلامی بکسب حلال ومشروع تعبیر میشود. (مترجم)

دیگری دشوار میباشد لذا می‌بینی بعضی ازمردم پی بلاغت میروند وبرخی پی نحو و بعضی پی شعر و دیگری پی خطابه هر کسی رشتهٔ مناسب ذوق خودرا تعقیب مینماید وهمچنین وقتیکه از رشته‌های مختلف زبان خارج شده برشته های دیگر فنون و صنایع نظر میکنی می‌بینی یکی علم طب را اختیار مینماید و دیگری هندسه را و همینطور طبقات مختلفهٔ مردم هر طبقه ای رشتهٔ مخصوصی را اختیار و تعقیب مینمایند.

علت این انتخابات و مناسبات و شایستگی ها علل خفیه و اسباب غامضی‌است که فهم و ادراك بشر از دریافتن آنها قاصر و کوتاه است و از قیاس ونظر بیرون است کسی آنها را نمیداند مگر خدا.

پس بنابراین استاد پیش‌از شروع بتعلیم باید طبع وقریحهٔ شاگردش را بسنجد و هوشش را بیازماید سپس مناسب ذوق و استعدادش برای وی از هنرها و صنایع انتخاب نماید.

و پس‌از آنکه یکی از هنرها وصناعات را برای شاگرد برگزید از اندازهٔ میل ورغبت شاگردش نسبت بآن اطلاع حاصل کند ونیز بداند که آیا در آن رشته سابقهٔ دانشی دارد یا بکلی بی‌اطلاع و بی‌سابقه میباشد وآیا افـزار و آلات کارش با او سازگار است یانه و آنگاه عزم خود را جزم کند چه این ترتیب با اصـول حزم موافق تر و از تضییع وقت شاگرد دور تر میباشد.

واداشتن فرزند بتأمین زندگی خود

زمانیکه فرزند تااندازه‌ای اصول وقواعد صناعت‌رافرا گرفت‌مقتضای تدبیر اینست که از همانوقت او را وادارند که از همان مقدار اطلاع خود برای کسب وتأمین معاش خود استفاده نماید (۱)

واینکار دوفایده در بر دارد :

۱ ـ وقتیکه لذت استفاده از صناعت خودرا در تأمین معاش چشید بسود ومنفعت کارش علاقه‌مند و محبتش بصنعتش بیشتر شد در تکمیل آن میکوشد.

۲ ـ پیش از آنکه تأمین معیشتش کاملا بعهدهٔ خودش قرار گـیرد بطلب معاش عادت میکند.

ما کمتر دیدیم از پسران ارباب مکنت از اعتماد بدارائی پدر سالم مانده باشد و هنگامیکه بدارائی پدر اعتماد نمود این اعتماد اورا نمیگذارد پی‌صناعتی رفته‌تابدینوسیله طلب معیشت بنماید ومانع میشود ازاینکه ادب تحصیل کرده بزیور آن خودرا بیاراید.

(۱) البته باید کار کردن و استفاده نمودنشان باندازهٔ استعداد و صلاحیتشان بوده ازحد خود تجاوز نکنند زیراکه اگر بکارهای فوق صلاح خود مداخله نمایند ویامزد زیاد بگیرند زیان بخود ودیگران میرسانند مخصوصاً درقسمت هائیکه کارشان بانفوس وحقوق مردم تماس داشته باشد مانند تعلیم و قضاوت و پزشکی ومانند اینها اگر این نکته را مراعات نکنند زیان وخسارت مهمی بجامعه متوجه خواهند نمود. (مترجم)

و نیز مقتضای تدبیر اینست پسر وقتیکه بکسب معاش از صناعت خود موفق گردید برای او زن گرفته خانه اش را جدا بنمایند تا بازیچهٔ شهوات نشود. (۱)

(۱) این چند دستور اخیر برای حفظ فرزندان ازخطر وآسیب گوناگون که صحت مزاج وسلامتی روح وعقل واخلاق وعواطفشان‌را دراول دورهٔ جوانی تهدید مینمایند نهایت درجه مهم میباشد. (مترجم)

سیاست مرد در بارهٔ خدمتکاران

فایده خدمتکار

خدمتکاران انسان بمنزلهٔ اعضا وجوارح بدن وی میباشند ونیز همانطوری که گفته‌اند نگهبان مرد بمثابه روی وی و محررش بجای قلمش و کسی‌که پیغام اورا میبرد بمنزله زبانش میباشد همچنین ما میگوئیم خدمتگذاران مرد دست و پای مردند زیرا کسیکه کار پای شما را انجام دهد بجای پای شما است و کسیکه کار چشم‌را انجام داده شمارا از آنچه که دیدگانتان حفظ میکند حفظ نماید بمثابه چشم شما است.

پس فایدهٔ خدمتگذار بسیار مهم‌است. اگرخدمتکار نباشد تا اندازهٔ مهمی راحتی از شما سلب میشود.

سزاوار است اینکه خدا را حمد کنی درمقابل این‌نعمت که برای تو از خدمتکاران و کارگذاران مسخر کرده ونیز سزاواراست اینکه آنهارا بخودت نزدیك کنی وازخودت دور نکنی وتفقد نمائی و مهملشان نگذاری و با رفق رفتار کنی و تنگ نگیری زیرا که آنها هم بشرند خسته و ملول میشوند و سستی و پیری بآنها عارض میگردد حوائج و خواهشهائیکه در طبیعت بشر هست برای آنها هم هست.

راه انتخاب خدمتکار

راه اتخاذ خدمتکار اینست که نخست او را بشناسی و امتحان کنی واز صفات و اخلاق وافکار وکردارش آگاهی یابی سپس او را برای خود بسمت خدمتگذاری بپذیری.

اگر نتوانستی چنین شناسائی و آگاهی از وضع و حالش بدست آوری آنگاه از راه حدس و تقدیر و فراست بقیافه و وجناتش بدقت نظر کردن ووارد شدن بااو ازراههای مختلف تااندازه‌ای سبب آگاهی از اخلاق و احوالش میباشد. از کسانیکه امراضی مانند برص و غیره دارند دوری کنید ودرخدمتکار کمی عقل وحیا برشهامت وخفت زیاد رجحان وبرتری دارد و بکسانیکه داهیه هستند اطمینان نکنید زیرا که آنها از مکر و حیله عاری نمیباشند.

پس ازاین مراتب نگاه کن خدمتکاری که میآوری بچه‌کار صلاحیت دارد هر کاری که می‌بینی صلاحیت وشایستگی آنرا زیاد دارد بآن کار اورا بگمار و انجام آنرا از وی بخواه خدمتکار و کارگذار را از کاری بکار دیگر و صناعتی بصناعت دیگر انتقال ندهید زیرا که اینکار از جمله عوامل مهم فساد و خرابی کار است برای هر کس معرفتی و صنعتی میباشد که مطابق طبع و غریزه‌اش بوده مانند طبیعتش گشته نمیتواند از آن دوری کند پس وقتی که کارفرما خدمتکاررا ازکاری که آنرا نیکو واستوارکرده وممارست وعادت نموده انتقال دهد بکار دیگری که کارفرما آنرا برای خودش برگزیده

و بارادهٔ خویش انتخاب نموده ولی با طبع و ذوق خدمتکار سازگار نیست بلکه مورد نفرت او میباشد البته نظام خدمتگذاری مختل میگردد و کار دومی را بطور اجبار انجام میدهد در نتیجه این کار اجباری حال خدمتکار مثل حال مریض میشود.

درمأموریت جدید وجود این خدمتکار سودمند نمیگردد مگر اینکه چند برابرآن از مهارت وصلاح کار اولی دور شود و آنرا فراموش نماید و هنگامیکه دو باره بسوی آن برگشت کارش بد تر و خراب تر از مأموریت جدیدش می‌شود.

چند دستور سودمند

سزاوار نیست در مقام خرده‌گیری و تغیر بر خدمتکار کارش را از دستش بگیری زیرا این کار در اثر کم حوصلگی و بی صبری و کمی حلم سر میزند و نیز اگر کار او را از دستش بگیری محتاج بدیگری میباشی که آن کار را انجام دهد وقتیکه این کم حوصلگی و این گونه سیاست عادت تو باشد نمیتوانی خدمتکار را نگهداری بالاخره بی خدمتکار خواهی ماند پس سزاوار اینست که در دلهای خدمتکاران این سخن جای دهی و راسخ کنی که هیچیك از آنها ازخانهٔ تو بیرون نخواهند رفت وهمیشه در خانه این سیاست باصول مروت و کرم و وقار نزدیکتر میباشد. خدمتکار دلبستگی ودلسوزی ومحبت و طرفداری نسبت بتو نمیکند مگر اینکه درنظر او محقق باشد که بامخدوم و کارفرمایش درنعمت وملك و منفعتش شریك و سهیم میباشد و از عزل و بیرون کردن ایمن خواهد بود.

وقتیکه خدمتکار گمان کردکه حرمتش پیش صاحبش محفوظ نبوده و مقام پایداری در نظر او ندارد اهتمام و علاقه بکار چنین صاحب کاری بخرج نمیدهد وبلکه همش ذخیرهٔ اندوختن برای روز بدرفتاری مخدوم وبیرون رفتن ازخانهٔ اومیباشد.

باید کار فرما برای نیکو کردن رفتار و کردار خدمتکار تا حد اخراج از خانه مراتب دیگری از طرق اصلاح در دست داشته باشد وآنها را بکار برد.

بنابراین خدمتکاریکه رفتار و کردارش را نیکو کند باید نیکوئی او را استوارکرد و در موقع لغزش عفوش نمود وهرگاه یکی از آنها پس ازتوبه توبه وعهدرا شکسته بازکارزشتی کند باید بنحوی عقوبتش کرد وتااندازه‌ای سطوت باو نشان داد ومادامیکه رشته خدمتش نگسسته وباصرار بکار زشت تجاهر ننماید باید از درست شدن اخلاق و کردارش ناامید نگردید و هرگاه خدمتکاری که گناه سخت ویاخیانت شنیعی بکند که قابل بخشش نباشد و قانون سیاست اجازهٔ عفو ندهد مصلحت اینست هر چه زود تر چنین خدمتکاررا ازخانه بیرون کنند وگرنه خدمتکاران دیگرهم فاسد میشوند.

ابواب رساله در بیان آنچه سزاوار میباشد مرد در بارهٔ اصلاح نفس و خانواده‌اش بکاربرد بپایان رسید دراین رساله ازسخن زیاد ما مقدارکمی را گفتیم و شرح و بسط را کنار گذاشته باجمال گوئی پرداختیم.

تذکر

چون مؤلف « رساله تدبیر منزل » بمنظور ازدواج وتشکیل خانواده و اساس استحکام و مصالح آن نظر داشته و از آن طرف هم توجه انظار باین نُکات لازم و ضرور است مناسب دیدم قسمتی از مطالب مهمی را که فیلسوف نامی ایرانی :

شیخ الرئیس ابو علی سینا

در آخر « کتاب شفا » در این موضوع نوشته است ترجمه کرده و قدری هم دراطراف آن سخن بگویم وشرح وبسط قائل شوم تا مطالب روشنتر گردد .

نجمی زنجانی

قسمت دوم

مأخوذ از شفا

اساس و منظور ازدواج

شیخ الرئیس در کتاب شفا اساس و یا منظور عمده ازدواج و زناشوئی را امر توالد و تناسل که مایهٔ بقاء نوع انسان است قرار داده میگوید: « در ازدواج نخستین چیزی که لازم است بآن آغاز شود اینست بازدواجی اقدام شود که وسیلهٔ تناسل گردد و دعوت مردم بچنین زناشوئی و ازدواج واجب و لازم است زیرا چنین ازدواج سبب بقاء نوع است و بقاء نوع دلیل جود خداست ».

در این عبارت بدو نکتهٔ مهم اشاره شده است.

۱ ـ اینکه اساس و یا منظور عمده زناشوئی و ازدواج باید توالد و تناسل باشد و باید بازدواجی اقدام نمود که این منظور را تأمین نماید.

در رساله تدبیر منزل که ما آنرا ترجمه کردیم منظور زناشوئی و ازدواج تنها جنبه اقتصادی قرار گرفته بود و تولد فرزندان بطور امرقهری و یکی از لوازم و آثار طبیعی زناشوئی معرفی شده بود.

از مجموع این دو سخن که در مقام بیان اساس و یا منظور عمده زناشوئی در دو کتاب نوشته شده بطور واضح و آشکار معلوم میگردد که مؤلف بجنبه های مختلف موضوع متوجه بوده ولی درهردو مقام خواسته است یکی از مصالح و منافع عمده ازدواج را بیان کرده و آنرا اساس و یا منظور عمدهٔ ازدواج قرار دهد.

ولی اساس و منظوری که برای امر ازدواج در رساله تدبیر منزل و کتاب شفا گفته شده است با هم فرق وتفاوت دارند و این فرق وتفاوت

هم نه تنها در خود این دو جنبه و مصلحت است که یکی جنبه و مصلحت اقتصادی است و دیگری جنبه و مصلحت حیاتی و نوعی است بلکه درآثار و لوازم این دو جنبه ومصلحت درشئون زندگی انسان هم فرق وتفاوت زیاد دارند حیات علمی و ادبی و اخلاقی و اجتماعی بشر در هریك ازاین دو حال طوری و بشکلی پیش میآید که در آن دیگری آن طور و بآن شکل نیست بدیهی است کسیکه برای تأمین جنبه ومصلحت اقتصادی (اندوختن و ذخیره کردن مال و نگهداری و حراست آن چنانچه در رساله تدبیر منزل شرح داده شده است) اقدام بامر ازدواج مینماید با آن شخصی که برای تولید مثل و بقاء نوع زناشوئی کند خیلی تفاوت خواهند داشت . حیات دینی و علمی و ادبی و حقوقی و اخلاقی و اجتماعی و صحی خانواده‌ای که بدست این دو شخص تشکیل میبابد یکسان نخواهد بود اولی چون اساس و منظور زناشوئی وتشکیل خانواده را تأمین جنبه مادی قرار داده و جمع کردن و اندوختن مال و مایه حیات جسمانی را وجهه همت خود ساخته است لذا بحیات معنوی چندان توجه نمیکند و بعلم ومعرفت و دین و اخلاق وآداب وتربیت و بالجمله بحقوق بشریت وفضائل انسانیت مانند آن دیگری اهمیت نمیدهد و دومی چون هدف و منظورش از زناشوئی و تشکیل خانواده یك امر نوعی است که حیات و بقاء نوع است و طبعاً این حس و ادراك در اثر معرفت و بصیرت حاصل میگردد لذا چنین شخصی برای جامعه فرزندان نیرومند و آبرومند و صالح و رشید تقدیم مینماید و این منظور هم عملی نمیگردد مگر با توجه شایان بحیات علمی و دینی و اخلاقی خانواده و اهمیت دادن بپرورش نیکو وسودمند فرزندان .

پس معلوم گردیدکه این دومنظور (منظور اقتصادی مادی ومنظور نوعی معنوی) فی حد ذاته و در آثار و لوازم با یکدیگر فرق زیاد دارند.

کسانیکه با منظور واساس قرار دادن یکی حتی جنبه دیگری را از نظر دور نسازد و ضایع نکند کم است زیرا که چنین شخصی باید دارای معرفت و بصیرت کافی و شایان باشد و آنهم در مردم کم است .

پس لازم است در این موضوع قدری دقیق شده به بینیم کدام یك از این دو جنبه و مصلحت قابل این است که اساس و منظور ازدواج و تشکیل خانواده قرار گیرد و به بینیم آیا میتوان منظور و اساس دیگری قرار داد که دارای دائرهٔ وسیعتری بوده بتواند فوائد ومصالح ازدواج و خانواده را بهتر فراهم سازد وهمه مصالح و منافع آنرا درنظر گرفته مصالح حیات مادی و معنوی هردو را تأمین بنماید ؟

اما درمقام ترجیح یکی ازاین دو جنبه ومصلحت که ذکر شد البته معلوم است که انظار مختلف است بعضی جنبه و مصلحت اقتصادی را ترجیح میدهند و برخی جنبه و مصلحت حیاتی و نوعی را بهتر و برتر می دانند .

مردمان مادی که مادیات را هدف و منظور قرار میدهند البته هر چیزی که وسیله جمع آوری مال باشد وقوا را برای اینمنظور بهتر بجریان بیندازد ارزش بیشتر و اهمیت زیادتری بآن قائل میشوند و همه چیز را از لحاظ مادی مورد توجه و علاقمندی قرار میدهند اینان بجنبه ها و جهات دیگر اشیاء و موضوعات نگاه نمیکنند و مقایسه و موازنه درست با میزان خرد و دانش بین جهات وجنبه ها نمی‌نمایند تا بگوئیم دلیل منطقی اینها چیست و خود اینها هم هرگاه بامیزان عقل وشرع براه و روش خود

بنگرند خود بتنقید و ملامت خویشتن میپردازند و کار خود را بوالهوسی و هوا پرستی میدانند .

ولی بدون تردید همه اشخاصی که بجنبه مادی این قبیل موضوعات نگاه کرده وآنرا مورد توجه وعلاقمندی قرار میدهند اینطور نیستند که بجنبه های دیگر ابداً متوجه نباشند و از آنها بکلی منصرف باشند خصوصاً شخص دانشمندی مانند فیلسوف بزرگ ابن سینا . البته چنین دانشمندی وقتی که جنبه مادی موضوعی را که جنبه های دیگر مهم وآشکاری هم داشته باشد مورد توجه قرارداد معلوم است که آن جنبه های دیگر را ازنظر دور نمیسازد و عدم فرض نمینماید بلکه میخواهد از رهگذران جنبه مادی وارد جنبه های دیگر بشود وشاید علت اینکه از آن جنبه و جهت شروع میکند این باشد می بیند بیشتر مردم را از این راه بهتر میتوان متوجه منظور نمود .

پس معلوم گردید اساس و منظور قرار دادن جنبه مادی اگر از لحاظ مادّیگری صرف باشد مذموم و بی منطق بوده مورد ندارد ولی اگر برای جلب توجه و رهگذر قرار دادن باشد البته مذموم و بی منطق نیست مخصوصاً با اینکه می بینیم بسیاری از مردم بدین طریق متوجه بموضوع میشوند ولی چیزی که هست در اینصورت برای جلب نظر وبحد لزوم شایسته و مناسب است ولیکن اساس و منظور قرار دادن را نشاید و همچنین جنبه نمایان و بر جسته و مهمتر موضوع قرار دادن منطق و دلیل ندارد .

پس معلوم گردید که جنبه مادی برای اساس و منظور قرار دادن برای موضوعی بسیار مهم و دارای جنبه های دیگر بارزتر و مهمتر مانند موضوع ازدواج اصلاصلاحیت ندارد تا چه رسد بمزیت ورجحان چنانکه درحواشی رساله تدبیر منزل هم راجع باین موضوع سخن گفتیم .

وقتیکه یکی از طرفین از بین رفت طبعاً می ماند دیگری ولی لازم است در حال آن جنبه دیگر موضوع که طرف مقایسه بود نیز نظر و مطالعه دقیق بنمائیم زیرا تنها عدم صلاحیت یکی از طرفین مورد مقایسه صلاحیت طرف دیگر را ثابت نمیکند بلکه باید صلاحیت و شایستگی آن از خارج و بدلیل دیگر ثابت و محرز باشد پس از این ثبوت واحراز البته ازمقایسه واحراز عدم صلاحیت طرف دیگر تعین پیدا میکند که از مزیت و رجحان بالاتر است .

اما اینکه تولید مثل و ابقاء نسل صلاحیت دارد اساس و منظور ازدواج قرار گیرد یا نه ونسبت بین ازدواج وتناسل چیست با اندك دقت و نظر بحقیقت و ماهیت ازدواج و تناسل معلوم میگردد .

ارتباط و نسبت بین ازدواج و تناسل یك امر طبیعی است مقدمه بودن اولی برای دومی و نتیجه بودن دومی برای اولی از لوازم این دو موضوع و یکی از نوامیس و سنن عالم خلقت است .

عدم صلاحیت بعضی از اشخاص برای تناسل بجهة علل و عوارضی و در نتیجه نبودن تولید مثل در ازدواجشان زیان باین ناموس و سنت عالم خلقت نمیرساند بلکه درجهان آفرینش این ناموس و سنت ناموسی است کلی و سنتی است ثابت وجاری . برکنار بودن بعضی از اشخاص از این ناموس وسنت خود دلیل روشنی است براینکه درآنها علت وعارضه ای پیدا شده است که از خیر و سود این سنت الهی محروم شده‌اند .

در صورتیکه ارتباط و ملازمه بین دو چیز تا این اندازه باشد و بر طبق حکمت و نظام خلقت یکی مقدمه و دیگری نتیجه باشد جا دارد که

بنظر فلسفی گفته شود منظور از وجود اولی دومی است ودومی علت غائی وجود اولی است .

پس صلاحیت تناسل بـرای منظور ازدواج واضح و آشکار است مخصوصاً با اندك توجه بناموس ازدواج در کائنات که این سنت و ناموس در آنها وجود داشته و برای تولید است .

این غرض ومنظور علاوه از اینکه یك امر طبیعی و برطبق حکمت ونظام عالم خلقت است و دراثر این معنی ریشه و اساسش استوار وتغییر ناپذیر و غیر قابل زوال است اثرات مهم و مستقیمی در حیات اخلاقی و اجتماعی واقتصادی و عمرانی بشر دارد تکثیر جمعیت وتوجه کامل بپرورش اخلاقی و اجتماعی وتأمین مصالح مادی درخط اعتدال و درنتیجه تقدیم فرزندان زیاد صالح و رشید دیندار بجامعه انسانی از آثار مستقیم توجه و عنایت باین غرض عالی و منظور سامی است .

ولی با وجود چنین اهمیت در این غرض ومنظور باز جای بحث و گفتگو درعلت غائی ومنظور ازدواج قراردادن آن برای ازدواج وزناشوئی بنی نوع انسان باقی است زیرا که اولا ازدواج انسان مانند آمیزش و نزدیکی نر و ماده در حیوانات و نباتات نیست که فقط برای تولید مثل و ابقاء نوع باشد بلکه اثرات و نتایج مهم دیگری نیز از آن بحیات فردی و شخصی زن ومرد (زوجین) عاید میگردد اثرات ونتایج اخلاقی و اجتماعی و صحی و اقتصادی وعمرانی که ازتشکیل خانواده برای زن ومرد حاصل میشود واضح و آشکار بوده برای هوشمندان و خردمندان پوشیده نیست و همچنین آسایش و راحتی و خوشی و حظوظ نفسانی حلال ومشروعی که عاید زوجین میگردد بقدری مهم است که همه کس دانا ونادان وپرهیزکار

و شهوتران بآنها علاقه و دلبستگی دارند همه این جهات و مطالب را در برابـر منظور تولید مثل و ابقاء نسل که یکی از وظایف بشر است بکلی بی‌اهمیت دانستن و از نظر دور ساختن و یا همه آنهارا با آنهمه اهمیت و نیرو و نفوذ تابع منظور تناسل قراردادن مخالف قانون عدل وانصاف بنظر میآید و در صورت هضم حقوق جهات و شئون دیگر عقل و شرع هم بآن موافقت نمینمایند و آنرا امضا نمیکنند .

وثانیاً منظوری که برای یك امرعمومی و همگانی تعیین میگردد و دستور داده میشود که همه در آن کار آن منظور را در نظر بگیرند باید طوری باشد که برای همه مردم توجه بآنمنظور وهدف قرار دادن آن سهل و عملی باشد در صورتیکه در این موضوع یعنی منظور و هدف قراردادن تناسل یك استعداد خاص قوی میخواهدکه ملاحظه حظوظ نفسانی‌شخصی و جهات قوی و نافذ فردی را کنار گذارده فقط تولید مثل و ابقـاء نوع را در نظر بگیرند و بدیـهی است که این استعداد در بیشتر مردم نیست و حتی بیشتر اشخاصی که بخیر و صلاح خود مقید و مراقب میباشند نیز استعداد این کار را ندارند و از آنطرف هم چنانکه گفتیم دلیلی برای این کار نیست . و علاوه از اینکه دلیل وداعی بر این کار نیست تولید مثل برای بقاء نوع که یکی از وظایف بشریت است با دیگر وظایف وتکالیف حیاتی و شئون و جهات فردی منافات ندارد بلکه بمقتضای قانون حفظ تعـادل و توازن کمك و مساعد یکدیگرند .

علاوه از ایـن دو جهت یك جهت دیگری هم هست که بسیار مهم است و آن اینست که بعضی از مردم گرچه در اثر علل و عوارض باشد و یا در اثر زیادی سن و سال باشد از تولید مثل ونسل محروم میباشند ولی

علل و جهات دیگر جز تناسل آنها را الزام بازدواج مینماید پس آیا در ازدواج چنین اشخاص که جز تولید مثل و نسل جهات و اثرات دیگر ازدواج ازقبیل جهات اجتماعی واخلاقی واقتصادی موجود است میتوانیم بگوئیم منظور ازدواج حاصل نشده است .

البته نمیتوانیم بلکه معلوم و مسلم است که ناموس ازدواج در بشر یك دایره وسیعتر و اثرات و نتایج بیشتر از آنچه که از عالم حیوانات و نباتات و غیره محسوس است دارد .

پس برای این جهات و علل میبینیم منظور قراردادن تنها تناسل برای ازدواج مواجه با اشکال میگردد .

بنابر این اگر صلاحیت تناسل (تنها) برای منظور ازدواج قرار دادن هم ثابت و محرز باشد نمیتوان آنرا بهترین و عالیترین منظور که جامع و کامل باشد قرار داد .

پس بهتر اینست که بگوئیم ازدواج یك وظیفه و تکلیفی است که بمقتضای فطرت و عقل و دین و دانش برای همه کس لازم است و آثار و نتایج بسیار مهم شخصی و نوعی و مادی و معنوی دارد یکی از آنها تناسل است که سبب بقاء نوع انسان است دیگری تأمین احتیاج غریزهٔ جنسی است قویترین محرك و داعی بر ازدواج است و وجودش در انسان تنها برای توالد و تناسل نیست بلکه فواید و نتایج دیگری هم دارد چنانکه با اندك دقت در اثرات ازدواج وحیات خانوادگی پیدا است ودیگری تأمین صحت مزاج است که بتجربه و اصول بهداشت (حفظ الصحه) ثابت شده که ازدواج علاوه از فواید و نتایج دیگرش برای تأمین صحت مزاج لازم است و همچنین نتایج اخلاقی و اجتماعی و اقتصادی و فوائد دیگر ازدواج که

برای هوشمندان و خردمندان پدیدار و آشکار است .

پس ازدواج یکی از مهمترین وظایف زندگی بشر است که فوائد و نتایج گوناگونی دارد برای هرکس لازم است برای انجام وظیفه باین کار اقدام نماید و از فوائد و نتایج آن بهره مند گردد .

این اساس و منظور که ما گفتیم هم جامع و ناظر بهمه مصالح و منافع ازدواج است وهم طوری است که همه طبقات مردم هرکس برحسب استعداد عقلی وفکری ودیگر شئون وجهات وجود خود به فوائد و نتایج آن متوجه شده بآن اقدام مینماید . هرکه عقلش بیش حظش بیشتر .

و همچنین همه کس را مطابق فهمش میتوان بانجام این وظیفه و استفاده از فواید مهمش وادار نمود .

دعوت مردم بازدواج

دومین مطلب مهم عبارت شیخ وجوب و لزوم دعوت مردم بازدواج است .

این دعوت یکی از مصادیق مهم دعوت بخیر است که بمقتضای عقل و دستور دین مقدس اسلام واجب و لازم است .

ازدواج با اینکه یکی از مهمترین وظایف و پر سودترین تکالیف حیاتی انسان است باوجود این بسیاری از جوانان و بلکه از غیر جوانها از اهمیت و نتایج مهم آن غافل میباشند و بلکه بعضی‌ها زندگی تجرد را برآن ترجیح میدهند .

البته این غفلت و بی‌خبری از غفلت و بی‌خبری ازحکمت و سنت خلقت ناشی می‌گردد و ترجیح بی‌منطق زندگی تجرد بر زندگی تأهل جز عدم اطلاع و آگاهی کافی ازمصالح ازدواج علت وجهت دیگری ندارد .

میدانیم بعضی از جوانان و شاید همه طرفداران زندگی تجرد خودرا ازنادانی وبی‌خبری و بی‌خردی دور و برکنار میدانند .

ولی درنظرخردمندان و دانشمندان معلوم ومسلم است که ازدواج یك ناموس و سنتی است خدائی و خودداری از آن و اختیار زندگی تجرد برخلاف حکمت و نظام عالم آفرینش است و بدون شك و تردید عقیده ترجیح زندگی تجرد بر زندگی تأهل وتشکیل خانواده برخلاف دین و دانش و خرد و احساسات و عواطف است .

اینکه ازدواج یك سنت و ناموس ثابت و جاری خدائی است و زناشوئی یك وظیفه و تکلیفی است طبیعی وحیاتی امری است واضح و روشن فهم و ادراکش متوقف برکسب دانش و بینش نیست بلکه هرکس تا اندازه‌ای هوش و خرد داشته باشد و بدیده بصیرت بشئون زندگی خود نظر کند این وظیفه وتکلیف خودرا می‌فهمد .

آنانیکه از لزوم و اهمیت این وظیفه حتمی حیاتی غافل و بیگانه بوده در انجامش سهل انگاری و مسامحه مینمایند و یا با آن مخالف بوده زندگی تجرد را برآن ترجیح میدهند اگر دقت ومطالعه درست در اطراف موضوع کنند فکرشان تغییر میابد وبحقیقت مطلب متوجه میشوند و خود را از زیان و خسارت تخلف از ناموس و سنت عالم آفرینش حفظ مینمایند .

ولی این قبیل اشخاص خاصه جوانان بآسانی نمی‌توانند خود دیدهٔ بصیرت باز نموده بشئون زندگی خود بچشم بصیرت نگریسته وظیفه خودرا چنانکه شاید وباید بفهمند ودراثر باقی‌ماندن‌شان در نادانی زیان فراوان برحیات شخص آنان و برحیات نوع عاید می‌گردد .

پس برمردم خردمند و دانشمند لازم و واجب است که نیازمندان وجوانان را بامر ازدواج دعوت نمایند .

چون موضوع دعوت بازدواج امری است مهم لذا آشنائی بچگونگی دعوت نیز لازم و بایسته است .

شیخ پس ازگفتن منظور تناسل در ازدواج گفت « دعوت بر چنین ازدواج واجب است » مفاد این عبارت اینست که دعوت باید طوری باشد که اقدام کننده بامر ازدواج را بمنظور تناسل آشنا سازد .

ما در بیان منظور ازدواج گفتیم که منظور ازدواج باید یك امر جامعتر و وسیعتر از موضوع تناسل تنها باشد و آنرا هم باختصار گفتیم باید راه دعوت مطابق آنمنظور را نیز دانست اکنون برای تذکر خواننده گرامی بطور اختصار باهمیت و چگونگی این دعوت اشاره میکنیم.

دعوت بازدواج برای اینست که ناصح انظار کسانی را که باید ازدواج کنند بلزوم و اهمیت ازدواج جلب نماید و خیر و سودی که در اثر اقدام بآن بآنان میرسد بآنها بفهماند و زیانهای گونا گونی که دراثر تخلف و خودداری متوجه شان میگردد گوشزدشان نماید و بالجمله آنانرا وادار بامر ازدواج نماید.

البته باید این دعوت خیرخواهانه طوری باشد که موضوع را در نظر آنان درست روشن نماید و آنهارا از جهات و مصالح اصلی قضیه آگاه و مطلع سازد تا از روی عقل و بصیرت بامر ازدواج اقدام و در انتخاب همسر با میزان دین و دانش قدم بردارند و پایه و اساس خانواده ای را که تشکیل میدهند روی اساس صلاح و سعادت قرار دهند و از ابتدا و آغاز کار بوظایف پراهمیت خود در بارهٔ حسن ادارهٔ خانواده و تدبیرمنزل و پرورش فرزندان آشنا باشند و اگر در بدو امر یعنی پیش از ازدواج و انعقاد نطفه آشنائی باصول پرورش فرزند لازم نباشد بدون شك و تردید دانستن اصل مطلب یعنی دانستن اینکه یکی از فوائد و مصالح ازدواج تولید مثل وتقدیم فرزندان نیکو وسودمند بجامعه انسانی است در بدو امر لازم است تا همسر شایسته انتخاب نمایند و از آغاز کار مرد وزن خودرا برای پرورش فرزندان نیرومند و سودمند ودیندار ونیکوکار آماده ومهیا سازند.

عقد ازدواج

شیخ در باره وقوع ازدواج چنین گوید: «وقوع ازدواج باید آشکار باشد تا شك و ریبی در نسب رخ ندهد و از وقوع خلل در انتقال ارث که بسبب شك در نسب پیش میآید جلوگیری حاصل گردد و وجوب خرج و نفقه بعضی بر بعض دیگر معلوم گردیده اختلاف ومنازعه پیش نیاید وخلل بآن راه نیابد وهمچنین لزوم معاونت وکمك بعضی بر بعض دیگر آشکارشود و از وقوع خلل های دیگر که برخردمند متفکر امکان وقوع آنها پوشیده و مجهول نمیباشد صیانت حاصل شود».

ازدواج در زندگی مرد و زن و فرزندانشان آثار و نتایجی دارد که بر آن مترتب میگردد برای اینکه استفاده از این آثار و نتایج با موانعی روبرو نشود وباشکالاتی برنخورد باید آنرا طوری انجام‌دادکه موضوع ثابت و محقق بوده آثارحقوقی واجتماعی آن معلوم باشد شیخ برای تأمین این منظور میگوید وقوع ازدواج باید آشکار باشد ودلیل و علت هم برای‌این دستور ذکر میکند.

البته معلوم است که اصل این دستور فکر خودشیخ نیست وجود این دستور در فقه اسلامی برای همه اشخاصی که از فقه اسلام اطلاعی دارند واضح و آشکار است و شیخ هم چنانکه از سخنانش پیداست و در کلماتش تصریحاتی دارد به دین وشریعت اسلام خیلی معتقد و خاضع بوده و حتی در کتابهای فلسفی خود از تعلیمات اسلام بعین تعبیرات خودش زیاد یاد کرده است.

دلیلی که شیخ برای این مطلب ذکر کرده است مانند خود مطلب و دستور متقن و روشن است .

این دلایل بطور اشاره تقریر شده البته همین اشاره برای ارباب علم و دانش کافی بوده محتاج شرح و توضیح نیست .

برای اینکه همهٔ خوانندگان بطور وضوح وخوبی باین دلایل متوجه بشوند تا اندازه ای به بیان و توضیح این دلایل میپردازیم .

دلیل اول ـ دلیل اول اینست که اگر وقوع ازدواج آشکار ومعلوم گردد نسبت مرد و زن بیکدیگر و نسبت پدر و مادر بفرزندان و فرزندان بپدر و مادر همیشه معلوم بوده شك و شبههٔ بآن راه نمییابد و بالعکس اگر ازدواج و زناشوئی بطور محرمانه و پنهان صورت گیرد نسبت این اشخاص بهمدیگر در میان مردم معلوم نمیگردد و بآن ترتیب اثر نمیدهند مخصوصاً در صورتیکه پای انکاری هم در میان باشد .

این دلیل بسیار متقن و روشن است زیرا بدیهی است که مرد وزن پس از ازدواج نسبتی بیکدیگر پیدا میکنند که اثرات حقوقی و اجتماعی دارد و همچنین همین نسبت و آثارش بین پدر و مادر و و فرزندان وجود دارد برای اینکه این آثار باین نسبت مترتب گردد باید وجود نسبت محقق باشد و تحقق واقعی نسبت و همچنین همه آثار آن اگر چه بآشکار ومعلوم بودن آن پیش مردم متوقف نیست بلکه وجود واقعی نسبت و بعضی از آثارش بانعقاد پنهانی ازدواج هم صورت میگیرد ولی جای شك و تردید نیست آثاریکه بر وجود این نسبت در نظر مردم مترتب میشود منوط و متوقف بر معلوم و محقق بودن آن در نظر مردم است و همچنین برای اینکه هیچ یك از این اشخاص نتوانند هنگام اختلاف نظر ومنازعه وجنگ

و جدال شانه خود را از وظایف و تکالیفی که بآنها متوجه است خالی کنند و یا حقوق آنها ضایع نشود بایستی این نسبت معلوم و محقق بوده امر پنهانی و قابل ستر نباشد .

آثاری که بر این نسبت مترتب میشود بسیار است بعضی از آنها را شیخ ذکری کرده و بعضی دیگر را بفهم وادراك خردمندان متفکر واگذار نموده است .

آثاری که شیخ بطور اجمال اشاره کرده است عبارتند از :

۱) انتقال ارث ـ بدیهی است که انتقال ارث یکی از آثار و لوازم شرعی و قانونی این نسبت است .

۲) وجوب خرج ونفقه بعضی بر بعض دیگر ـ وجوب خرج ونفقه زن برمرد و خرج ونفقه فرزندان تا بزرگ شوند و در حال عدم تمکن بتأمین زندگی خود پس از بلوغ و بزرگ شدن وهمچنین خرج و نفقه‌ای که برفرزند متوجه می گردد نسبت بپدر و مادرش جملگی اینها از آثار و لوازم شرعی وعرفی نسبت موجود ومحقق بین این اشخاص است .

۳) معاونت وکمك کردن بعضی بر بعض دیگر ـ این معاونت وکمك کردن که شیخ آنرا لازم میشمارد عبارت است از وظایف تعاونی راجع بتأمین مقاصد زندگی که طبعاً توجه آن بمرد و زن و پدر ومادر وفرزندان وخویشاوندان نزدیك مقدم بردیگران میباشد .

همه کس میداند که وظیفه معاونت وکمك کردن در موارد احتیاج هریك ازاین اشخاص بخود آنها پیشتر وبیشتر ازدیگران متوجه میباشد .

این آثار ولوازم که گفته شد گرچه درصورت مسالمت و موافقت محتاج بثبوت و تحقق نسبت زن و شوهری و یا پدری و فرزندی و یا

مادری وفرزندی و یا نسبت خویشاوندی نیست ولی چون موضوع توجه تکلیف و پای مال و خدمت در میان است و اختلاف ومنازعه و جنگ و جدال زیاد پیش میآید وچون فصل خصومت و دادرسی بثبوت و تحقق نسبت موجوده بین این اشخاص بسته ومتوقف است وچون نسبت این اشخاص بیکدیگر از ازدواج حاصل میشود لذا لازم است که وقوع ازدواج آشکار باشد تا تحقق و ثبوت نسبت این اشخاص بیکدیگر هم آشکار بوده مانع از ضیاع حقوق و وقوع خلل باشد .

خللهای دیگری که ممکن است در اثر پنهان و پوشیده ماندن ازدواج پیش آید گوناگون است خلل عرضی ممکن است پیش آید مانند توجه تهمت و بدگمانی و بدگوئی بمرد و زن ویا فرزندان که نسبت روابط نامشروع بآنها بدهند .

وهمچنین خلل و زیان اخلاقی ممکن است پیش آید مانند اینکه زنی که ازدواجش با مردی پنهان و پوشیده بوده وکسی دیگر جز مردش از آن خبر وآگاهی ندارد بفکر روابط نامشروع و یا ازدواج با مرد دیگر بیفتد و ممکن است مرد در اثر چنین پیش آمدی بفکر کشتن زنش افتاده ویرا بکشد و یا مرد اول و دوم بمنازعه ومحاکمه سخت برخاسته زیان بسیار از حیث مال و وقت وغیره بآنها متوجه گردد ویا میانه آنها و خویشاوندان و دوستان و طرفداران شان دشمنی و جنگ و جدال سختی پدید آید خلاصه چنانکه شیخ گفته است اگر خردمندان فکر کنند می بینند که در پنهان و پوشیده ماندن ازدواج و زناشوئی ممکن است زیانها و خللهای گوناگون بسیاری پیش آید .

استواری رابطهٔ ازدواج

شیخ دربارهٔ استحکام واستواری رابطه ازدواج چنین گوید « واجب است امر ازدواج محکم و استوار باشد تا بهر سبکی و کم عقلی جدائی و طلاق پیش نیاید و رشتهٔ اجتماع خانواده گسسته نگردد و نیز اگر پایه امر ازدواج سست و ضعیف بوده بهر چیز مختصری جدائی وطلاق پیش آید زن و مرد محتاج تجدید ازدواج (تجدید زیاد و سریع) میشوند و در این کارهم زیانهای فراوان بآنها میرسد ونیز بیشتر اسباب مصلحت مرد و زن (زوجین) در وجود مهر و محبت است و محبت هم بوسیله الفت حاصل میگردد و الفت هم حاصل نمیشود مگر بعادت و عادت هم حاصل نمیشود مگر بطول آمیزش ومعاشرت .

و استحکام واستواری امر ازدواج حاصل نمیشود وتأمین نمیگردد مگر اینکه امر جدائی و طلاق در دست مرد باشد نه زن زیرا که زن عقلش کمتر ازمرد است و بهوی وهوس وغیظ وغضب مبادرت می ورزد » .

استحکام و استواری رابطه ازدواج امری است که عقل و شرع هردو آنرا لازم و واجب میشمارند وقتی استواری و پایداری در هر چیز خوب ومطلوب ولازم باشد البته درموضوع مهمی مانند ازدواج وزناشوئی لزومش واضح و روشن است .

با اینکه این مطلب برای خردمندان امری است واضح و آشکار و بنظر من ابداً محتاج اقامه دلیل و بیان و جهة نیست با وجود این شیخ

ببعضی از جهات لزوم استواری رابطه ازدواج و مفاسد و معایب سستی پایه آن اشاره کرده جای هیچگونه شك و شبهه را باقی نگذاشته است وسخنان این دانشمند هم بسیار متین ومتقن است .

و هچنین اینکه برای پایداری واستحکام امر ازدواج لازم است اختیار طلاق در دست مرد باشد امری است واضح و عیان چنانکه گفته میشود :

بیان و سخن شیخ در این باب واضح بوده محتاج شرح و توضیح نیست .

قانون طلاق

شیخ در بارهٔ طلاق و جدائی میگوید « واجب است بجدائی هم راهی باشد و راه رهائی و طلاق بکلی مسدود نگردد زیرا بکلی مسدود شدن راه رهائی و طلاق از جهات عدیده موجب خلل و زیان است از آنجمله جهات ذیل است :

بعضی از طبایع با بعضی دیگر ناسازگار میباشد و برای تولید الفت و سازگاری‌شان هرچه کوشش و سعی مبذول گردد جز شر و زیان چیزی نمیافزاید و زندگانیشان را بیشتر آلوده و منقص میسازد وقتی که میان مرد و زن (زوجین) چنین ناسازگاری و عدم توافق وجود داشته باشد جز طلاق و جدائی چارهٔ دیگر نیست .

گاهی شخص مبتلا میشود بهمسری که همدوش نیست و بدرفتار میباشد و یا بهمسری که طبیعت ازوی کراهت دارد .

در این صورت میل و رغبت بهمسر دیگر پیدا میشود زیرا شهوت در آدمی یك امر طبیعی است وچه بسا مؤدی بجهاتی از فساد میشود وچه بسا مرد وزن تعاون برنسل نمینمایند ولی هنگامی که جفت وهمسرخودرا عوض وتبدیل کردند تعاون میکنند .

پس واجب است که راهی برهائی وطلاق باشد ولی باید سخت ودشوار باشد » .

پیش‌از آنکه بشرح و یا انتقاد عبارت شیخ شروع کنیم در اصل

قانون طلاق وعلل وجهاتی که لزوم آنرا اقتضا مینمایند قدری سخن گفته سپس بچگونگی عبارت شیخ میپردازیم.

همانطورکه قانون ازدواج یکی از قوانین ضروری حیات اجتماعی است و برای صلاح وسعادت جامعه از آن چاره وگریزی نیست همچنین قانون طلاق یکی از قوانین لازم و ضروری حیات اجتماعی میباشد برای تأمین صلاح و آسایش و نیکبختی جامعه از آن چاره و گریزی نیست.

همانطور که ضرورت و مصالح زندگی ایجاب مینماید که پسر و دختر و مرد و زن بامر ازدواج اقدام نموده دست اتحاد و تعاون بیکدیگر داده بتشکیل خانواده آسایش خودرا تأمین نمایند و بتولید مثل وپرورش دادن فرزندان رشید و صالح برای بقاء نوع خود خدمت کنند و از دیگر مصالح و منافع زندگی خانواده برخوردار شوند همچنین هنگامی دیدند ازدواج ناجوری سبب بدبختی و سلب آسایش گردید بقاء رابطه آن جز فزونی سیه‌روزی و تولید فساد ثمر ندارد ناگزیرند راه جدائی و رهائی جویند و خودرا از بدبختی و گرفتاری رها سازند.

همانطورکه ازدواج یکی از سنن ونوامیس خلقت بوده نمیتوان از آن خودداری نمود همچنین رهائی وطلاق در مورد ومحلش یك امر لازم وطبیعی است.

پس طلاق هم مانند ازدواج باید جائز و روا باشد ولی نباید بهر کدورت و اختلاف نظر بآن اقدام نمود و بایستی در مواقع کدورت و موارد اختلاف نظردست رد برسینه احساسات تند وهوی و هوس گذارده منظور محاکمه را بعقل رجوع نمود و بنور و نیروی آن برفع اختلاف و نزاع وکدورت پرداخت و مادامیکه نومیدی از ترمیم واصلاح حاصل

نشده و چارهٔ جز طلاق باز باقی مانده است نباید بآن اقدام نمود.

علل وجهاتی‌که وجود طلاق را ایجاب مینماید چندقسم است:

گاهی طبیعت زوجین با یکدیگر غیرموافق بوده وچنان با همدیگر ناسازگارمیباشند که قابل آمیزش وهمسری با یکدیگر نمیباشند ونمیتوانند با این‌حال زن وشوهری وحیات زوجیه خودرا ادامه دهند و هرچه در رفع اختلاف و تنافر و تباین طبیعت کوشیده بخواهند این عدم توافق را بتوافق و تناسب تبدیل نمایند نتیجه نبخشیده جز زیان و فساد چیز دیگری حاصل نگردد خلاصه اصلامعنی امتزاج و ازدواج که منظور از اقدام بازدواج است درمیانشان حاصل نگردد بلکه این ازدواج ناجور و ناروا مایه زحمت و بدبختی هردو باشد البته در این صورت عقل و شرع و طبیعت زوجین همگی وجود طلاق و رهائی را ایجاب مینماید.

وگاهی طبیعت زن و مرد با یکدیگر چنین غیر موافق و ناسازگار نمیباشد که نتوانند حیات خانوادگی زن وشوهری خودرا ادامه دهند بلکه حالت مزاجیشان استعداد توالد و تناسل را نداشته باشد و این چندجور است یکی آنکه هردو عقیم ونازاد باشند در این صورت البته داعی ندارندکه برای بدست آوردن فرزند از یکدیگر جدا شده با کس دیگر ازدواج نمایند پس دراینصورت اساساً جای صحبت طلاق وجدائی برای توالد و تناسل در بین نیست.

و جور دیگر اینست‌که مرد عقیم بوده صلاحیت توالد و تناسل را نداشته باشد ولی زن بی‌عیب باشد و این زن با این وصف بامر توالد و تناسل علاقه داشته محبت و آرزوی فرزند را داشته باشد ومردهم دارای

فضیلت اخلاقی بوده بناکامی وحسرت زن از حیث فرزند راضی نشده بطیب حاضرباشد باینکه باو طلاق دهد شاید بوسیلهٔ ازدواج با کس دیگر خدا باو فرزند دهد .

دراینصورت‌هم البته بدون گفتگوطلاق مانعی‌نداشته بلکه‌لازم‌است وبمصلحت هردو تمام میشود .

و مورد دیگری هم هست که مرد سالم بوده و بامر توالد و تناسل‌هم علاقمند می باشد ولی زنش عقیم و نازاد میباشد در اینصورت عقیم و نازاد بودن زن‌زیان بمرد نمیرساند زیرا مرد میتواند زن دیگر بگیرد وانشاءالله جای این مطلب خواهد آمد که یکی از مصالح و فواید تعدد زوجات اینست که در چنین مورد مرد میتواند زن دیگر گرفته بتولید نسل موفق گردد و ازدواجشان هم که جز نقیصه نازاد بودن زن هیچ عیب و نقص دیگری نداشته و مورد علاقه هردو میباشد از بین نرود و برای بی فرزند ماندن مرد عیش و زندگیشان منقص نگردد .

خلاصه درصورت نازاد بودن زن ازاین حیث داعی وموجبی برای طلاق نمیباشد .

و نیز از موارد ضرورت طلاق جائی است که حفظ شرافت مرد مقتضی آن بشود مانند اینکه زن بکار خلاف عفت مرتکب بشود و مرد از این کار آگاهی یابد البته زنی که عفت خود را از دست داده زناکار شود قابل همسری با مرد شریف نمیباشد غیرت و شرافت مرد غیرتمند و شرافتمند اجازه نمیدهد که چنین زن را درخانهٔ خودنگهدارد واورا زن و همسر خود بخواند البته در صورت چنین پیش‌آمد ناگوار تکلیف مرد اینست که چنین زن بی شرف و بی‌عفت را طلاق داده حیثیت و شرافت

خود را از ننگ او حفظ کند و نگذارد لکه بی‌شرافتی و بی‌عفتی‌چنین زن دامن عفت و دیانت ویرا لکه‌دار سازد .

طلاق چنین زن اولا کاری است که از مرد شریف و عفیف و غیرتمند و آبرومند بطور امر طبیعی و غریزی انجام میگیرد طبع بلند و شریف چنین مرد با طبع پست و زشت چنین زن بی‌شرف اصلا ناسازگار بوده طبیعتش ویرا زود طرد مینماید وثانیاً وقتی‌که بامیزان عقل و منطق چنین پیش آمد ناگوار را تحت مطالعه قرار داده میسنجد می بیند حفظ شرافت و حیثیت و اعتبار و آبرویش بسته بطلاق دادن چنین زن ناجور و ناهنجار است اگرطلاقش ندهد و طرد و ردش نکند حیثیت و شرافت و اعتبار و آبرویش درخطر است و در نظر مردمان شریف که خردمند و دیندار میباشند سخت مورد مذمت و ملامت میباشد و ثالثاً طلاق چنین زن وسیلهٔ جلوگیری از خیانت و بی‌عفتی و بی‌شرافتی زنهای دیگر میباشد گرچه دیانت زنان دیندار با عفت خود نگهبان عفت و شرافت آنها است ولی با وجود این چون به بینند زن بی‌عفت از شایستگی‌همسری می افتد و رانده و مردود میگردد مردان شریف نگهداشتن او را ننگین میدانند البته علاقمندیشان بعفت و شرافت بیشتر می گردد و دست طمع شهوت از آلوده کردن دامن عفتشان کوتاه‌تر می شود و در زنانی‌که دیانت وعفت وشرافتشان بدرجه چنین زنان دیندار و باعفت وبا شرافت نمیرسند و مانعی جلوگیر قلبی و دینی و اخلاقی آنها نیست و یا چندان قوی نمیباشد بدون تردید طلاق دادن و راندن زن بی‌عفت وبی‌شرافت در آنان تأثیر قوی و عمیق دارد .

یکی از دانشمندان و نویسندگان گوید « زنیکه جنایتکار و زناکار

باشد اگرطلاق در بین نباشد بار سنگین و پرزحمتی‌است بردوش شوهر و بعید و سخت است که بتواند زنای ویرا بثبوت شرعی برساند پس دراین حال یا نخوت وادارش میکندکه ویرا بکشد ویا باید خودرا بدیوثی حاضر کرده کار زنش را بچشمش ببیند و نتواند اظهارکند .

ما بطور محقق میدانیم بعضی‌ها که از طلاق ممنوعند و آنرا حرام میدانند از زنانشان کاری را که مبغوض می دارند می بینند و این ننگ را تحمل کرده صبر مینمایند و خودهم بر این امر معترفند و اگر بخواهند بکسی که میتواند آنها را از ننگ و خیانت زنانش رها سازد شکایت کنند دلیل و گواهیکه بتوانند بوسیله آن دعویشان را تأیید و اثبات نمایند ندارند و علاوه بر این اگر بتوانند زنا وخیانت زنانشان را اثبات کنند و محقق‌نمایند بدون شك سبب رسوائی و افتضاح این‌زنها وخویشاوندانشان می شوند و باعث اشاعه و افشاء فحشاء می‌شوند ـ پس مرد مسلمان هنگامی که از زنش چنین خیانت به بیند طلاقش داده دوش خود را از زیر بار سنگین و ننگین رها میسازد وکسی هم نمیداند که برای چه زنش را طلاق داد و ردش‌کردو بدین وسیله هم زن را رد وطرد میکند و هم سبب رسوائی و افتضاح زن و خویشان و کسانش نمیشود و شرع راه دیگری نیز برای چنین کس معین نموده که اختیار آن مکروه است مگر در صورتی که بطور یقین بداند زنش از زنا بار دار گردیده است و آن راه راه لعان است » .

سخن این دانشمند پیداست در بارهٔ زنی است‌که بکار خلاف عفت و شرافت اقدام نماید ولی هنوز کارش آشکار نشده باشد تا چه رسد به زنی که بی‌پروا مرتکب‌کار خلاف عفت وشرافت بشود وکارش آشکار گردد .

آنچه این دانشمند می‌گوید « یکی از فوائد طلاق زن زناکار رسوا نشدن‌وی و کسانش‌میباشد» .با آنچه‌ما گفتیم(که‌یکی‌ازفوایدش‌عبرت‌گرفتن دیگران است)منافات ندارد زیرا منظور این دانشمند اینست‌که مرد بیش از عفونت خود خیانت عمل زن مرتکب خلاف عفت را آشکار نسازد و بوسیلهٔ اثبات درمحکمه بیشتر مفتضحش ننماید ودرنزد مردم و بی‌خبران امرش را فاش نکند چه بدیهی است‌که محاکمه و اثبات خیانت و بی‌عفتی زن بیش از عفونت طبیعی خیانت و زنا خبرآن خیانت و بی‌عفتی راپخش و منتشر می‌نماید .

واما آنچه ما گفتیم راجع باثرعفونت طبیعی خود خیانت وبی‌عفتی میباشدکه خیانت و بی‌عفتی زن یك عفونت طبیعی داشته وخود طبعاً بکلی پوشیده و پنهان نمانده تا اندازهٔ فاش و آشکار می گردد هراندازه در ستر وپنهان کردن‌کوشش شود باز خویشان و کسان نزدیك و همسایگان و دوستان وآشنایان نزدیك از آن با خبر و آگاه میشوند .

البته این آگاهی بآن درجه رسوائی و افتضاح و انتشار خبرکه در اثر محاکمه حاصل میشود نمی رسد پس چون خبر خیانت و بی‌عفتی زن بکلی پنهان نمیماند و طبعاً تا آنجا که عفونت کار سرایت میکند خبر هم می رسد و آگاهی حاصل میگردد لذا طبعاً نگهداشتن و رد کردن چنین زن درنظر باخبران بی‌تأثیر نخواهد بود . نگهداشتن علامت ودلیل اینست که مرد بخیانت وبی‌عفتی زنش‌اهمیت نداده وبچنین‌زن‌نیز شایستگی‌همسری

قائل است و این کار البته در نظر مردمان دیندار غیرتمند و شرافتمند بی‌شرافتی چنین مرد را اثبات مینماید ولی درعین حال در نظر مردمان تا اندازه‌ای بی‌پروا و لاابالی موضوع بی‌عفتی رابی‌اهمیت مینماید و برای چیره شدن شهوت بآنها آنان را تا اندازه‌ای مستعد مینماید وبسا میشود که چنین‌اشخاص پس‌از آنکه چند بار چنین‌سستی ومسامحه را دیدند دیگر بی‌عفتی درنظرشان بی‌اهمیت و یك چیز عادی‌میگردد و این وضع و حال یکی از مقدمات شیوع فحشاء و فساد اخلاق است (پناه بخدا) .

ولی بدون تردید طلاق دادن و ردکردن زن بی‌عفت بدکار در نظر همهٔ مردم اثر خوبی دارد که سبب مصون ماندن حیثیت و شرافت و آبروی مرد می باشد و نیز چنانکه گفتیم سبب جلوگیری ازشیوع فحشاء و فساد اخلاق میگردد .

و نیز جمله از علل وجهاتی‌که گاهی طلاق دادن زن را ایجاب می نماید زشت خوئی و عدم توافق اخلاقی زن است که گاهی زن چنان زشت خوئی و بداخلاقی بخرج میدهدکه مرد را جزطلاق دادن بزن راه رهائی وچارهٔ خلاصی نمیباشد وهرچه مصلحت واندرزگوید ودر بهبودی واصلاح حالش کوشد جز بدی و ازدیاد لجاجت سودی نمی بیند و تحمل و صبرهم سخت ناگوار میباشد و نه‌تنها زشتخوئی و بداخلاقی چنین‌زن حیات خانوادگی را آلوده و منغص میسازد و موجب عذاب روحی و وجدانی‌می‌گردد بلکه‌درشئون زندگی‌خانواده هم‌تأثیرات‌بدی دارد بحیات اقتصادی هم زیان میرساند و آنرا از پیشرفت شایان باز میدارد و بحیات علمی و فکری مرد اگر مشاغل علمی و فکری داشته باشد خسارت

شدیدی متوجه میسازد و همچنین در حیات اخلاقی خلل نمایان میگردد وصحت مزاج مرد درعرضه خطرقرار میگیرد ودر حیات‌اجتماعی وی نیز در اثر کدورت قلبی و پریشانی خاطر و پراکندگی حواس و سلب نشاط وانبساط اثرات بسیار بدی دارد وموانعی برای ترقی وپیشرفتش فراهم میسازد .

زیانهای علمی واخلاقی واجتماعی واقتصادی وصحی زشتخوئی و بداخلاقی زن نه تنها بوجود مرد متوجه شده مصائب گوناگون برایش فراهم میسازد بلکه همچنین بدیگر افرادخانواده‌هم زیانهای‌گوناگون دارد خاصه بفرزندان که بپرورش آنها سخت زیان میرساند .

پس در اینصورت البته چنین زنی که جز زیان سودی بمرد ندارد و زیانهای گوناگون باو و سایر افراد خانواده میرساند و وجودش مایهٔ فساد و خانه‌خرابی می‌شود شایسته طلاق است وبس .

علاوه از این موارد، موارد دیگری‌هم ممکن است‌که مرد رابطلاق زنش‌ملزم نماید .

پس درهمهٔ این موارد ومواقع وجود طلاق لازم وضرور است .

وهمچنین در بعض موارد دیگر علل وجهات مقتضی طلاق بدرجه علل وجهات این موارد شدید نمیباشد ولی بدرجه‌ای‌که کراهت و یا منع را بردارد و آنرا جائز وبلامانع نماید می‌رسد در این موارد هم باید طلاق جائز و بلا مانع باشد .

پس وجود قانون طلاق و راه رهائی برای تأمین مصالح و آسایش مردم لازم و واجب است .

اگر در قومی و ملتی قوانینشان بآنها اجازهٔ طلاق در موارد لزوم

ویا جواز ندهد آن قوم و ملت دچار فشار وسختی و بدبختی شده بالاخره مجبور می شوند که این راه رهائی و آسایش را برای خود باز نمایند و بسا می شود بقانون عکس العمل بافراط کاری و بی اعتدالی بپردازند ودرحد اعتدال توقف نکنند .

بعضی از دانشمندان دراین مقام می گویند « فرنگی ها طلاق را حرام و ممنوع میدانستند و وجود آنرا در قانون اسلام برای اسلام عیب می شمردند بعد اضطرار وادارشان نمود باینکه آنرا جائز و مباح دانند وپس از آنکه آنرا تجویز کردند ومباح دانستند چنان در آن افراط کاری و اسراف نمودند که بیم اختلال نظام زندگی زناشوئی و تأهل و انحلال روابط خانوادگی وخویشاوندی نمایان گردید .

از جمله آنچه که جرائد و مجلات از علل حکم قضات بطلاق نقل کرده اند جهات ذیل است :

۱ ـ چگونگی موی سر زن .

۲ ـ چگونگی صورت مرد از حیث ریش گذاشتن و یا زدن و تراشیدن آن .

۳ ـ شکایت زن از مرد باینکه درخانه عوض صحبت وغیره با وی بخواندن کتاب و روزنامه ومجله می پردازد .

٤ ـ شکوه زن از اینکه مرد استحمام نکرده بدنش بو میدهد .

٥ ـ شکایت مرد از پرگوئی زن حتی در تلفون » .

نویسندگان و دانشمندان دیگر هم از زیادی طلاق و افراط کاری وبی اعتدالی درآن دراروپائیها شکایت وانتقاد مینمایند وچیزهای شگفت آوری نقل می کنند و در شرق هم معلوم است که طلاق بیجا و ناروا زیاد است .

توسعه در طلاق مانند منع کلی ویا تضییق در آن هر دو ناشی از عدم اطلاع کافی بر شئون و مصالح ازدواج است وقتی که کسی درست و باندازهٔ کافی بجهات ومصالح زناشوئی و حیات خانوادگی دانا وبینا گردید البته تاجائی که مصلحت مقتضی بقاء رابطه و علاقه ازدواج باشد طلاق را روا نمیداند و آنجا که بقاء آن صلاح نیست و سودی ندارد و بلکه زیان دارد آنرا لازم میداند .

از بیانات گذشته بخوبی واضح و روشن گردیدکه وجود قانون طلاق مانند قانون ازدواج برای صلاح وسعادت زندگی انسان حتی الامکان لازم است وعلل و جهات لزوم در بعضی از موارد وجوازش در موارد دیگر و ناروا بودنش درسایر مواقع معلوم گردید .

از سخنانی که گفته شد اصول وقواعد کلی مسئله مورد بحث بدست آمد ومنظور ماهم بدست آمدن همین اصول وقواعد کلی مسئله بود وبهمین جهت تا اندازه‌ای در این مسئله بشرح وبسط پرداختیم و آنراهم لازم می دانستیم زیرا اینمسئله ازجمله مسائل مهم زندگی است وافکاروانظاربسیاری از مردم و یابیشتر آنها بجهات مسئله چنانکه باید متوجه نیست و در اثر این عدم توجه و بی اطلاعی جدائیها و طلاقهای بیجا و ناروا بسیار پیش میآید چنانکه بآن اشاره گردید .

اکنون به‌بیان مقصودشیخ وچگونگی عبارتش میپردازیم . مقصود ومنظورشیخ ازعبارت خودش ظاهرو واضح بوده محتاج شرح و بیان نیست اما عباراتش مانند مقصودش واضح و روشن وتمام نیست بلکه قسمتی از سخنش مورد نظراست .

آنچه از عبارت شیخ معلوم میشود شیخ سه جهت ازجهات وخلل ازدواج ذکر کرده :

یکی اینکه طبع مرد و زن باهم سازگار وموافق نباشد ودر اثر این عدم توافق وناسازگاری نتوانند زندگی زناشوئی را ادامه دهند عبارت شیخ در بیان وتقریر این‌جهت واضح وروشن است ولی عبارتش دربیان وجه وجهت دوم محتاج توضیح است .

وجه وجهت دومی که شیخ برای لزوم طلاق ذکر کرده این است گاهی مرد مبتلا میشود بهمسری زن نا قابل که همدوش مرد نباشد و بد رفتار باشد و یا طوری باشد که طبع انسان از وی نفرت کند چنین زن که احتیاج غریزه جنسی مرد را رفع نمیکند و مصالح زندگی اجتماعی زناشوئی ویرا تأمین نمینماید البته برای مرد کافی نیست ولی این ازدواج غیر کافی چند گونه متصور بوده همه‌اش مقتضی و ملزم طلاق نیست یکی اینکه مرد کسی باشد دارای فضائل اخلاقی و دارای تمکن مالی و زن کسی باشد که در اثر عیب ونقص عضوی ویا مزاجی و یا اخلاقی مورد توجه و رغبت برای زناشوئی نباشد و شهوت غریزه جنسی نداشته فقط بتکفل مرد بمخارج وی و باسم شوهر داری راضی باشد و مرد هم بتواند زن دیگر بگیرد و از روی فضیلت وکرامت اخلاقی این زن معیوب را نگهداشته مخارجش‌را بدهد واگر چنین‌مرد در باره چنین زن این کار را بکند اولا هیچ زیانی باو و یا زن تازه‌اش متوجه نمیشود و ثانیاً‌نه‌تنها زیانی بمرد و زن تازه متوجه نمیشود بلکه هر دو بنام انسانیت از یك عضو ناقص و معیوب نوع خود نگهداری کرده‌اند .

اگرچه‌باطلاق‌هم‌این‌نگهداری‌ممکن‌است‌ولی‌درحال‌قبل‌ازطلاق‌نگهداری‌بنام

زن وشوهری است که برای زن گواراتر وآبرومندتراست ولی بعد ازطلاق بنام نگهداری از فقیری میباشد البته در نظر مردم دیندار نظر نگهداری گواراتر و آبرومندتر بهتر و با کرامت اخلاقی مناسب‌تر است خاصه در صورتیکه نقص وعیب زن در تن و عضو واندامش باشد و آنهم بعداً و در خانهٔ شوهر پیش آمد کند .

و مورد دیگر ناقابلی زن جائی است که مرد تمکن و استعداد و شایستگی نگهداری وی را نداشته وخودش‌هم‌میل ورغبت زن دیگرداشته باشد و با این وضع ادامه زندگی زناشوئی موجب ستم بر هر دو باشد و زمینه فساد گردد البته در این صورت تکلیف منحصر بطلاق است .

وجه سومی که شیخ برای لزوم طلاق ذکر کرده اینست « چه بسا مرد و زن تعاون برنسل نمینمایند ولی هنگامی که جفت و همسر خود را عوض و تبدیل کردند آنگاه تعاون می کنند » معنی این عبارت این است که هیچ یك از مرد و زن با توالد و تناسل مخالف نمی باشند بلکه طبع این دونفر با یکدیگر ناسازگار بوده و در اثر این عدم توافق تعاون برنسل نمیکنند وگرنه پس‌ازطلاق وجدائی از یکدیگر و ازدواج بادیگری تعاون می کنند پس در اینصورت این وجه و جهت جز از جهت نخستین که عدم توافق وناسازگاری طبع باشد چیز دیگری نیست منتهی درآنجا عدم توافق وناسازگاری طبع را بطورکلی گفته و محذورش هم با آثارش بوده که عدم حصول فواید و نتایج ازدواج باشد واینجا یکی از آثار همان عدم توافق ناسازگاری طبع را ذکر کرده است .

سختی طلاق

شیخ پس از آنکه لزوم وجود قانون طلاق و راه رهائی را گفته و بدلیل آنرا اثبات نمود بلزوم کمی ومحدودیت طلاق متذکر شده چنین گفت « پس واجب است که بطلاق و رهائی راهی باشد ولی باید سخت ودشوار باشد »

البته باید قانون طلاق طوری نباشد که باندك اختلاف نظر و مختصر کدورتی طلاق را روا دارد واین مطلب هم واضح و روشن است .

بدیهی است که درمیان بیشترمردم اختلافهای جزئی و ملالت‌های مختصر و کدورتهای موقتی زیاد پیش میآید اگر برای این اختلاف ها و کدورتها طلاق روا باشد آنگاه بیشتر ازدواجها استوار و پایدار نمیباشد بلکه چه بسا در هرماه چندین مورد طلاق پیش میآید و زیانها و نتایج وخیم اخلاقی و اجتماعی و اقتصادی اینکار هم بر همه‌کس معلوم و روشن است .

و نیز واضح است که آدمیزاده درحال خشم وعصبانیت بکلی و یا تا اندازه‌ای عقل ومنطق را از دست داده اطراف قضایا ومسائل را چنانکه باید ملاحظه نمیکند و اشخاصی که دارای چنان علم ومعرفت و فضیلت و کمال و بعبارت مختصر دارای دین و ایمان کامل باشند که خشمشان در مواقع لزوم از روی عقل و دین بوده عقل و منطق را از دست ندهند کمند .

پس لازم است که شرط طلاق طوری باشد که این گونه اختلاف ها

وکدورتهای جزئی وموقتی نتوانند زن و مرد را ازهم جدا سازند بلکه تا تحصیل شرط طلاق این اختلاف ها و کدورت های مختصر وموقتی از بین رفته علاقه به بقاء ازدواج و محبت مرد و زن بیکدیگر فکر و خیال طلاق را از میان بردارد .

و بعبارت دیگر علاقه و محبتی که در میان مرد و زن میباشد پایه رابطه ازدواج را استوار و پایدار نموده بمرد اجازه نمیدهد که در اثر اختلاف نظر وکدورتهای مختصر وموقتی زن خود را طلاق داده از دست بدهد وهمچنین زن بجدائی وطلاق حاضر و راضی نمیشود فقط در حال خشم وعصبانیت موقتی هردو گاهی خاطره و خیال طلاق را بخاطر خود راه میدهند پس اگر طلاق آسان و بی‌شرط باشد ممکن است هر دو بآن راضی و حاضر شده از یکدیگر جدا شوند ولی پس از آنکه خشم و عصبانیتشان رفع شد هردو پشیمان شوند ودر اثر گردن‌گیری و یاملاحظات دیگر ویا میل ونفوذ پدر ومادر و خویشان وکسان دیگر نتوانند باز طلاق را مبدل بازدواج نمایند واگرهم مانعی نداشته باشند تکرار زیاد ازدواج و طلاق پشت سر یکدیگر کار ناروا و بدی است .

ولکن اگرطلاق بی‌شرط و آسان نباشد بلکه شرط وسختی داشته باشد در آن صورت تا حصول شرط طلاق کدورت وملالت وقهر و خشم از بین رفته هر دو باز بدیده عقل و منطق و دلبستگی و محبت بیکدیگر مینگرند وبه‌بقاء رابطه ازدواج علاقمند میباشند .

پس‌لازم است که قانون طلاق مشروط بشرایطی باشد که کدورتهای مختصر وموقتی نتواند طلاق بیجا و ناروائی را پیش‌آورد .

صاحب اختیار طلاق

ابن سینا در بارهٔ صاحب اختیار طلاق میگوید « نظر باینکه راه جدائی وطلاق باید سخت ودشوار بوده بسهولت وسرعت انجام نگیرد لازم است اززوجین،زن‌قدرت‌واختیار طلاق‌را نداشته‌باشدزیرا زن‌ازمردعقلش کمترواختلاف وتلونش بیشتراست پس‌نباید اختیار طلاق داشته‌باشد بلکه کار طلاق از ناحیه وی بر عهده حکام و قضات است وقتیکه حکام و قضات دانستند شوهر باوی بدرفتاری میکند اورا از شوهرش‌جدا و رها میسازند اما مرد که قدرت و اختیار طلاق را دارد بر وی غرامتی لازم‌است که بر آن اقدام نکند مگر بعد ازفکر وملاحظهٔ کافی و پس‌از آنکه بامرجدائی و طلاق از هر حیث راضی باشد با وجود این باز بهتر و زیباتر آنست که بصلح و سازش راهی باقی باشد و در صلح وسازش و توجیه آن مداقه شود مبادا که سبك مغزی ظهورکرده مانع از سازش باشد بلکه نه تنها سخت‌گیری در ابتداء طلاق لازم است بلکه در تکرار طلاق باید سختی و دشواری بیشتر باشد چه قدر خوب است دستور برترین وبالاترین شارع که میفرماید بعد از طلاق سوم دیگر ازدواج با آن زن بر مرد حلال نیست مگر پس از تحمل دردی که بالاتر از آن درد نباشد و آن عبارت از این است که بنکاح صحیح آن زن را کس دیگر بگیرد و با وی مقاربت صریح

بنماید وقتی که مرد ببیند اگر بزنش طلاق بدهد کس دیگر در جلوچشم او زنش‌را گرفته و محققاً با اونزدیکی‌خواهد نمود دیگر بسرعت وسهولت اقدام بطلاق نمیکند و بآن تصمیم نمیگیرد مگر پس از تصمیم باینکه بکلی و بطور همیشگی‌از وی جدا بشود و یا اینکه طلاق دادن مرد در این صورت از جهة رکاکتی باشد که برسوائی بی پروا باشد و فضاحتی که با لذت توأم باشد اقدام بنماید و این قبیل اشخاص هم از استحقاق طلب مصلحت برای آنها خارج میباشند ».

وحدت زوج و تعدد زوجات

ابن سینا در بارهٔ لزوم وحدت زوج و جواز تعدد زوجات چنین گوید :

« اشتراك در زن منفور ومبغوض انسان است وسبب ننگ بزرگ می گردد ولی اشتراك در مرد (یکمرد شوهر چند زن باشد) ننگین نیست چیزی که در آن هست سبب حسد (حسد زنها) میگردد و این حسد هم قابل اعتنا نیست زیرا این حسد از فرمانبرداری از فرمان شیطان ناشی می شود » .

اما اشتراك در زن که چند مرد در یك زن شریك باشند بدی و زیانش بقدری واضح و روشن است که محتاج بیان و اقامه دلیل و برهان نیست و هیچیك از ادیان و شرایع الهیه بآن اجازه نداده و همچنین هیچ یك از قوانین موضوعه بشر آن را تجویز ننموده و آن را مباح ندانسته است .

ولی اشتراك درمرد که چند زن دارای یك شوهر باشند ویا بعبارت دیگر یك مرد چند زن داشته باشد امری است که بمقتضای عقل و شرع هر دو جائز است مگر جائی که محذوری داشته باشد قرآن صریحاً بشرط عدم خوف از ستم در بارهٔ زنان تا چهار زن اجازه داده است .

شیخ با نظر فلسفی بموضوع نگریسته از نظر عقل جائز ومشروع بودن آنرا میگوید .

پیش از آنکه به‌بیان چگونگی نظر و بیان شیخ در این موضوع بپردازیم در اصل موضوع تااندازه‌ای سخن گفته و آنرا روشن مینمائیم .

موضوع تعدد زوجات از جمله موضوعاتی است که در هر مورد و همه جا نمیتوان جهات و حکم آنرا یکی دانست بلکه برحسب اختلاف موارد وجهات حکمش اختلاف دارد جائی زیان داشته و مستلزم مفسده و ستم بوده حکمش حرمت است مانند کسی که زن خوب وشایسته و زاینده دارد و قدرت و تمکن نگهداری زن متعدد را ندارد و یا میترسد در بارهٔ زنان ویا یکی از آنها ستم کند و نتواند حقوق آنهارا بقانون عدل حفظ کند که دراین دو صورت بمقتضای عقل و شرع تعدد زوجات جایز نیست و جائی مصلحت داشته لازم و یا مستحب است مانند مرد جوانی که زنش بمرضی مانند سل گرفتار شود و زن هم جز شوهر کسی را نداشته باشد که معالجه و پرستاریش کند و وسایل دیگری از بیمارستان و غیره برای معالجه وپرستاری وی نباشد واین زن هم بمرد و شوهری وی علاقه زیاد داشته باشد بطوری که نام طلاق هم ازعوامل قوت وشدت مرض باشد واز آن‌طرف هم‌مرد جوان نیرومند وقوی‌المزاج برای رفع احتیاج‌غریزه جنسی و برای خانه‌داری و حفظ صحت مزاج و دین و اخلاق و برای تولید فرزندان و پرورش آنها بزن سالم احتیاج دارد و تمکن مالی هم دارد البته در اینصورت دیانت و اخلاق وعواطف مرد اجازه نمیدهند که زن بیمار و افتاده را طلاق داده زن دیگر بگیرد بلکه باید هم این زن را نگهدارد و هم زن دیگر بگیرد .

در این مورد که جهات ومصالح اخلاقی و اقتصادی مرد ایجاب تعدد زوجات را مینماید واجب است .

و همچنین جهات و مصالح دیگر که ببعضی از آنها ذیلا اشاره می کنیم در بعض موارد مقتضی وجوب و یا استحباب و یا جوازش می باشد .

یکی از فوائد و نتائج مهم ازدواج توالد وتناسل است که موجب بقاء نوع وتکثیر جمعیت است .

گاهی مردی زنی را برای همسری خود انتخاب کرده با وی ازدواج مینماید و پس از ازدواج ومدتی آمیزش و آزمایش میبینند که ازهرحیث دارای صفات ستوده و شایسته همسری است جز اینکه عقیم و نازاد است مرد علاقه و دلبستگی بوجود فرزند دارد که تولید مثل کند و فرزندانی داشته باشد و زنش هم نازاد در آمده اگر بخواهد این زن را طلاق داده زن دیگر بگیرد میبیند زنش از هرحیث جز نازادی زن خوب و شایستهٔ همسری ومورد علاقمندی است نمیتواند و نمیخواهد از وی دل بکند و علاوه از علاقه ومحبت شخصی میبیند از لحاظ اخلاقی و نوع‌دوستی باز بنگهداری وی موظف است زیرا این زن نازاد که جز نازادی عیب دیگری ندارد حق دارد و دوست میدارد که از زندگی زناشوئی بهره‌مند گردد و از حقوق و مزایای بشریت و لذات و خوشیهای مشروع زندگی استفاده کند و لذت برد و این ازدواج که پیش آمده هر دو از آن راضی وخوشنود هستند جز اینکه برای نازادی زن از فرزند محروم میباشند و مرد هم توانائی و تمکن نگهداری این زن وگرفتن زن دیگر را که نازاد نباشد دارد و مرد باین‌کارمیل ورغبت دارد و زن هم برای علاقه ومحبت بشوهرش صلاح وخرسندی ویرا میخواهد و قلباً هم بازدواج دیگر وی راضی و مایل است و موضوع هوو وغیره هم نمیتواند بارکان اخلاق و

صمیمیت وی خللی متوجه سازد و یا اگر قلباً هم راضی نباشد ظاهراً نمی تواند چیزی بگوید .

پس دراینصورت حق ومصلحت مرد وزن هردومقتضی است که مرد زن دیگری هم غیر ازاین زن بگیرد وزن تازه هم که از قضیه آگاه بوده و بمیل و رغبت حاضر بازدواج با چنین مرد میباشد .

ونیز از مواردی که مصلحت مقتضی تعدد زوجات است جائی است که عدهٔ زنان بیش ازعدهٔ مردان باشد ویا عدهٔ مردان آماده وحاضر بازدواج باندازهٔ کفایت بزنان و دختران آماده وحاضر بزناشوئی نباشد و این کاهش و کمی شماره مردان گاهی و یا همیشه برای عللی پیش میآید و از جمله این‌علل جهات ذیل است :

۱ ـ در اثر جنگ از مردها زیاد کشته شده شماره شان کاهش یابد.

۲ ـ دراثر نداشتن تمکن‌مالی جمعی‌ازمردان وجوانان ازازدواج و توانائی نگهداری زن وبچه عاجز باشند .

۳ـ مردان وجوانانی بزناشوئی حاضرنباشند اگرچه حاضرنشدنشان کاملا بیجا ومخالف عقل وشرع باشد .

پس در صورتیکه عدهٔ مردان کمتر از زنان و دختران باشد و یا عدهٔ مردها وجوانان آماده بازدواج کمتر باشد البته حقوق بشریت زنان و دختران ومصالح اخلاقی واجتماعی وصحی و اقتصادی آنان مقتضی تعدد زوجات است .

وهمچنین‌موارد دیگری هست که جهات ومصالح اخلاقی واجتماعی وصحی واقتصادی مقتضی تعدد زوجات میباشد .

پس این‌چند مورد که یادآور شدیم بخوبی اختلاف جهات و حکم موضوع تعدد زوجات را نشان داده روشن میکند که حکم آن در همه جا یکی نیست و فکر و نظر مردمان دانشمند و خردمند را جلب و متوجه می‌نماید باینکه در اطراف این موضوع مطالعه دقیق ونظر عمیق نموده جهات و احکام مختلف مسئله را خوب دریابند و بنظر سطحی اکتفا نکنند وبیجا بقانون تعدد زوجات اعتراض نکنند وظلم انتقاد بیجا و بی منطق را برخود روا ندانند .

این‌مسئله از مسائل مهمی‌است که دانستن جهات واحکام مختلف آن درزندگی مردم آثار قوی و زیادی دارد وآنان را براه حسن استفاده از قانون و ناموس ازدواج که یکی از مهمترین ومؤثر ترین قوانین زندگی است آشنا و بینا میسازد .

و همچنین بی‌اطلاعی و بی‌خبری از جهات و احکام مختلف آن زیان فراوان دارد چه رنجها و بدبختیها در اثر این بی‌اطلاعی و بیخبری به‌بسیاری ازمردم متوجه گردیده بی‌جهت آسایش زندگی را از آنان سلب کرده‌است.

چه بسیار است شواهد این مطلب در زندگی مردم !

همین بی اطلاعی و بیخبری از جهات و مصالح موضوع است که در نظر بسیاری از مردم این موضوع رنگ دیگری غیر از آنچه که در واقع هست بخود گرفته است و درمرحلهٔ عمل هم این اشتباه زیان های گوناگون دارد .

پس برای همه‌کس که سر وکاری با این موضوع دارند لازم است

که بجهات مسئله خوب متوجه باشند وهمچنین‌آنانیکه میخواهند ازلحاظ علمیت بچگونگی حکم مسئله درنظرعقل وشرع واقف شوند بایددراطراف مسئله خوب دقت ومطالعه نمایند .

پس از توجه بسخنانیکه ما در اطراف این موضوع گفتیم معلوم میگردد که شیخ در این موضوع آنچنان که میبایست حق مطلب را ادا بکند نکرده تنها به‌بیان اصل مشروعیت تعدد زوجات اکتفا نموده است و شاید علتش این بوده که در زمان وی حس بدبینی بقانون تعدد زوجات و اعتراض بآن دیده نشده و فقط آنچه دیده حسد و هووگری زنها بوده که بآن اشاره ونکوهش کرده است .

خرج زن

شیخ در بارهٔ خرج و نفقهٔ زن میگوید : « خرج و نفقه زن برعهدهٔ مرد است ـ مرد باید متکفل مخارج زن باشد و در عوض این خرج و تکفل مرد هم صاحب اختیار زن است وزن اختصاص بمرد دارد ونمیتواند با دیگری ازدواج بکند و یا دیگری را بخود راه دهد » .

کتابخانه مجلس شورای ملی

صیانت زن

ابن‌سینا در بارهٔ حفظ و صیانت زن میگوید « از جمله حقوق زن صیانت و حفظ اوست که مرد ویرا از فریب و خیانت دیگران مصون بدارد زیرا زن در شهوت با مرد شریك است و جداً جالب توجه بوده مردها را بسوی خود میخواند و با این وصف زود هم فریب میخورد و کمتر فرمانبر عقل میباشد » .

بدیهی است که زنان از بهترین وسایل لذت و خوشی مردان میباشند و میل بزن در مرد طبیعی است مردمان خردمند و دیندار این احتیاج را بوسیله ازدواج مرتفع میسازند واگرهم زن نداشته باشند بزن مردم طمع نمیکنند و بالعکس مردمان بی‌خرد و بی‌دین اگرهم زن داشته باشند باز طمع و خیانتشان بزن دیگران ممکن بوده هیچگاه بآنها نمیشود اطمینان کرد و از آنان ایمن گردید لذا برهرمرد لازم است که در حفظ و صیانت زن مراقبت کامل نموده ویرا از شر و آسیب و خیانت این خائنان مصون بدارد و او را آنگونه نگهدارد که مردمان بد دسترس باو نداشته باشند و نتوانند بفکر خیانت بیفتند .

این وظیفه و تکلیف در بارهٔ نگهداری زن از مهمترین وظایف و تکالیف مرد است خیر وسود و تأمین مصالح زندگی زناشوئی و خانوادگی بسته بانجام این وظیفهٔ پراهمیت است .

اگر درانجام این وظیفه وعمل باین تکلیف مسامحه وسهل‌انگاری

شود زن بازیچه هوی‌وهوس مردمان بد وخائن قرارگرفته همه مصالح و منافع زندگی زناشوئی و خانوادگی خلل پذیرفته بالاخره از بین خواهد رفت و ننگ و رسوائی و خواری و بدبختی جای‌گزین آنها خواهد بود.

سرانجام کار زن بی‌عفت و بی‌شرافت و بدکار معلوم است که چه خواهد بود و چه فضاحت و خسارت بمرد متوجه خواهد ساخت .

البته معلوم و مسلم است که زن باید دارای صفت عفت و عصمت بوده همین صفت ستوده نگهبان وی باشد ولی اینهم معلوم ومسلم است که این گوهر گرانبها مانند دیگر گوهرهای قیمتی‌مادی ومعنوی انسان محتاج حفظ و حراست است اگر حفظ وحراست نشود از دستبرد غارتگران و خائنان مصون نخواهد ماند جسم و روح آدمی هر چند سالم و قوی باشد اگر درحفظ این سلامتی ونیرومندی مراقبت ومواظبت نشود ودر عرضهٔ خطر و آسیب قرارگیرد ممکن است همان جسم وروح سالم وقوی چنان زیان و آسیب بیند و ضعیف وبیمار گردد که جبران نپذیرد وسبب مرگ گردد و همچنین صفات نفسانی انسان هرچند قوی و راسخ باشد اگر در برابر عوامل تغییر واسباب تبدل قرارگیرد تغییر پذیر است .

حفظ و حراست صفات ستوده و اخلاق حمیده که تغییر نپذیرد و از دست نرود مانند کسب وتحصیل آنها مهم و شایان هرگونه مواظبت و مراقبت است .

آنانیکه محاسب نفس و مراقب اخلاق خود میباشند میدانند که شهوت و غضب و هوی وهوس برای خراب کردن پایه فضایل انسانیت و صفات و اخلاق پسندیده آدمیت چه دشمنان قوی و پرحیله میباشند و با اندك غفلت چگونه آدمی را فریب داده ویرا بسوی پرتگاه میکشانند و

با مختصر غفلت این دشمنان پرخطر بوجود آدمی حمله میکنند تاچه رسد باینکه آدمی بخود مغرور گشته بکلی از دشمنی و خطر و آسیب وحیله و نیرنگ آنها غافل باشد.

خلاصه انسان نباید مغرور باشدو از خطر و آسیب شهوت وغضب وهوی وهوس که باضعف ایمان وتقوی قوت می گیرند غفلت ورزد وهمیشه باید بیدار وهشیار ومراقب حیثیت و شئون زندگی خود و کسانش باشد. خاصه در بارهٔ زنش که وجودی لطیف و زیبا و جالب توجه و دلربا بوده بیشتر مورد سوء قصد خـائنان شهوتران میگردد و ممکن است حیله و نیرنگ این خائنان بسهولت خِرَد و اندیشهٔ ویرا مغلوب سازد.

پایان

١٤٢٩/٨٨٧ـــ